محاور المقياس

1-الفتح الإسلامي لبلاد المغرب

2-عصر الولاة

3-الدعوات السياسية والحركات المذهبية

المحور الأول: الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الإسلامي

I–التعريف ببلاد المغرب الإسلامي

1–المغرب:

1.1–جغرافية بلاد المغرب

بدأ لفظ المغرب في الظهور أول الأمر زمن الفتنة التي وقعت بين علي ومعاوية –رضي الله عنهما– لما قال علي لأصحابه :" تجهزوا للمسير إلى عدوكم من أهل المغرب" وهو يقصد بذلك أهل الشام الذين كانوا غرب الكوفة التي كانت مركزا لحكم علي، ويعتبر ابن عبد الحكم أول من عبر عن هذا المعنى في مؤلفه فتوح مصر والمغرب حينما تكلم عن بداية فتح هذه البلاد على يد معاوية ابن حديج:"وخرج إلى بلاد المغرب بعد ابن أبي سرح معاوية بن حديج"[1].

ويبدو أن المراد بلفظ المغرب في أول الأمر كان تحديدا جغرافيا، أراد به الذين اتخذوه كل ما يقابل المشرق من البلاد، ومن هنا ادخل فيه بعض المؤلفين مصر والأندلس، وجعلوا حدود المغرب "من سبب بحر النيل بالمشرق إلى ساحل البحر الأبيض من ناحية المغرب"، وقصره آخرون كابن عذارى على المغرب الحالي، وأخرج منه الأندلس[2].

بينما يذكر آخرون أن المغرب يمتد من مصر وبرقة إلى إفريقية وناحية تنس إلى سبتة وطنجة، ومنهم من يرى أن حد المغرب يبدأ من مصر إلى طنجة ويضاف إليه الأندلس، ويقصره الحموي على المنطقة الممتدة من مليانة إلى المحيط الأطلسي مضافا إليه الأندلس.

---

[1] عبد الرحمن بن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1961م، ج1، ص 260.

[2] ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س.كولان وإ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1983م، ج1، ص 5.

ونجد من المؤرخين من يخلط بين لفظي المغرب وإفريقية فيقول البكري:" وحدّ إفريقية طولها من برقة شرقا إلى طنجة الخضراء غربا، واسم طنجة مورطانية وعرضها من البحر إلى الرمال التي هي أول بلاد السودان"[1]، ويتابعه في ذلك ابن أبي دينار بقوله:"وحد إفريقية بالطول من برقة إلى طنجة، وعرضها من البحر الشامي إلى الرمال التي هي أول بلاد السودان قاله غير واحد"، غير أن ابن أبي دينار يستدرك على هذا القول بعد ذلك فيشير إلى أن حد إفريقية في زمانه هو من واد الطين إلى بلاد باجة[2]، وهي إفريقية وهي التي يعنى بها بلاد المغرب الأدنى كما سنوضحه لاحقا.

ويقسم المغرب إلى ثلاثة أقسام، ليست في الواقع إلا تقسيمات اصطلاحية، لأن بلاد المغرب تعتبر وحدة واحدة جغرافيا وتاريخيا واجتماعيا. وهذه الأقسام هي المغرب الأدنى والأوسط والأقصى[3]:

1.المغرب الأدنى: وسمي كذلك لأنه أدنى المغارب من بلاد المشرق، وغلب عليه تسمية "إفريقية" التي أطلقها الفاتحون الأوائل على هذه المنطقة، ويشمل بلاد تونس انطلاقا من بنطابلس (وهي طرابلس الغرب حاليا) والأجزاء الشرقية من الجزائر الحالية، ويضم إليه البعض البلاد الممتدة من برقة إلى طرابلس، وتغيرت عاصمته حسب تغير الدول الحاكمة لهذا الإقليم، فعند الفتح كانت القيروان هي مركز المغرب الأدنى، وهي أول مدينة أسسها المسلمون في بلاد المغرب، وظلت كذلك على عهد دولة الأغالبة، ثم استبدلها الفاطميون إلى المهدية، وانتقلت بعدها إلى مدينة تونس بعد سقوط دولة الموحدين وبداية حكم الدولة الحفصية، ولا تزال هي العاصمة الحالية للجمهورية التونسية.

---

[1] أبي عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص 11.

[2] محمد ابن أبي القاسم الرعيني، ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، الطبعة الأولى، 1386هـ، ص 16.

[3] أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص 10.انظر الملحق رقم 01.

2.المغرب الأوسط: وهو الذي يتوسط الأقاليم الثلاثة للمغرب، ويشمل بلاد الجزائر حاليا إلى غاية نهر ملوية، وكانت عاصمته الأولى هي مدينة تيهرت التي أسسها الرستميون في منتصف القرن الثاني للهجرة، ثم جعل الزيريون مدينة أشير عاصمة لدولتهم، ولا تزال آثار هذه المدينة بادية للعيان في أقصى الجنوب الشرقي لولاية المدية، أما الزيانيون الذين ورثوا مناطق حكم الموحدين في المغرب الأوسط فأقاموا حكمهم طيلة ثلاثة قرون في مدينة تلمسان، ثم انتقلت العاصمة أخيرا إلى جزائر بني مزغنة، التي لا تزال تمثل العاصمة للدولة الجزائرية.

3.المغرب الأقصى: وهو امتداد للمغرب الأوسط وبينهما حدود غير ثابتة، إلا نهر ملوية يعتبر الحد الفاصل بينهما في معظم الأحيان، وكانت العاصمة الأولى لهذا الإقليم هي مدينة فاس التي بناها إدريس الثاني سنة 192هـ، ثم اتخذها كذلك المرينيون والوطاسيون عاصمة لهم(بعد سقوط الموحدين)، ومراكش التي بناها المرابطون في النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة، واستمرت عاصمة للموحدين من بعدهم وللسعديين الذين حكموا بعد سقوط حكم الوطاسيين ، وأخيرا مدينة الرباط العاصمة الحالية للمملكة المغربية.

2.1–سكان بلاد المغرب:

استوطن بلاد المغرب خليط من السكان، منهم أقليات من الروم والبيزنطيين الذين سكنوا سواحل البلاد، وبعض الأفارقة الذين استقروا في مناطق قليلة جدا، أما السكان الأصليون فهم قوم عرفوا باسم الأمازيغ أو البربر، وتعني الكلمة الأولى الرجل الحر الخشن، وأُختلف في تحديد مدلول واحد للكلمة الثانية، فمن المؤرخين من اعتبر أن هذه التسمية تعود إلى جدهم الأكبر "بر بن قيس" فأصبحت اسما لجنسهم، وآخرون يعتبرونها دالة على عجمة لهجتهم، إذ لما كثر كلامهم غير المفهوم

قيل لهم: "ما أكثر بربرتكم" فأصبحت لفظة البربر مرادفة لهم. وانقسم البربر إلى قسمين عظيمين هما أصل كل البربر سمي القسم الأول البربر البتر والثاني البربر البرانس[1].

أ-البربر البتر: وهم من ولد برنس بن بر، وقد غلب عليهم الاستقرار في القرى والمناطق الحضرية للزراعة وتربية المواشي، وأشهر قبائلهم: مصمودة وازداجة وأوربة وعجيسة وكتامة وصنهاجة وأوريغة، ولمطة وهسكورة وجزولة.

ب-البربر البرانس: نسبة إلى مادغيس الأبتر بن بر، واشتهروا بحب الانتجاع وعدم الاستقرار فهم أقرب إلى حياة البداوة، وقبائلهم هي: أداسة ونفوسة وضريسة ولواتة.

ويمكن أن نشير إلى الأحوال الحضارية التي كانت عليها بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي لها، إذ كانت البلاد مركزا عمرانيا روميا ورثت السلطة عليه الدولة البيزنطية التي شهدت في هذا الفترة محاولة انفصال عن التاج البيزنطي في القسطنطينية وادعى "جرجير" -الذي كان تابعا لسلطة الامبراطور البيزنطي وحاكما لبلاد المغرب باسمه- أنه هو الامبراطور، كما أن سلطة البيزنطيين كانت مقتصرة على السواحل وبعض المدن الكبرى بسبب ضعف المقومات الاقتصادية للمناطق الداخلية، كما أن العلاقات بين الروم والبربر لم تكن عميقة، وأن الدين المسيحي لم ينتشر إلا بين الأقليات الإفريقية والرومانية لأن البربر لم يدخلوا في المسيحية بشكل واضح بل كان أغلبهم على الوثنية، إضافة إلى مقاومة البربر للتوسع البيزنطي نحو المدن الداخلية، وتذمر السكان من السياسة البيزنطية الجائرة ضدهم.

[1] عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العجم والعرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1421هـ،2000م، ج4، ص 116.

2-الأندلس:

المراد بها شبه الجزيرة الإيبيرية التي دانت للمسلمين ثمانية قرون من نهاية القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع للهجرة، وهي مشتقة من كلمة "فاندالوسيا" وهي اسم لقبائل الوندال الجرمانية التي استقرت بها في بداية القرن الخامس الميلادي بعد إزاحتها للرومان، لم يلبث الوندال طويلا بالجزيرة حتى أجلاهم عنها القوط الغربيون مع منتصف القرن الخامس[1]، وحدود الأندلس الشمالية هي جبال البرانس وباللغة الإسبانية los pirineos التي أطلق عليها العرب اسم جبال البرتات وهي عبارة عن سلاسل جبلية تتخللها عدة مضايق تشبه الأبواب وتسمح بالمرور بين المنطقتين، إذ تعد حدا فاصلا بين إسبانيا الحالية وأوربا، ومن الجنوب يفصلها مضيق جبل طارق عن البلاد المغربية إذ لا تبعدان عن بعض إلا مسافة ثلاثة عشر كيلومترا، ويمكن للناظر أن يرى شواطئ الجهة المقابلة من إحدى العدوتين، وسميت الأندلس بإسبانيا Hispana المشتقة من كلمة Saphane التي تعني أرض الأرانب، أو من الكلمة Hisperia التي تعني نجمة الغرب، أو أرض الغرب المتاخمة للمحيط. وتتقارب بلاد المغرب وبلاد الأندلس من حيث الطبيعة والمناخ فنجد تشابها كبيرا بين السلاسل الجبلية الموجودة في العدوتين المغربية أو الأندلسية، وحتى فترات التساقط والمناخ السائد في كلتيهما بالإضافة إلى العناصر السكانية المتماثلة التي سكنت المنطقتين[2].

وكانت حالة الأندلس قبيل الفتح الإسلامي لها على درجة كبيرة من الضعف، فالأمراء والنبلاء يعيشون في قصورهم المترفة، يتمتعون بالأراضي والإقطاعات ويرهقون كاهل الشعب بالضرائب الجائرة التي يحاولون بها سدّ نفقاتهم المتزايدة، وعامة الناس تعيش في مستويات حياتية متدنية، تضطرهم في كثير من الأحيان إلى القيام بثورات لاسترجاع بعض من كرامة العيش، وعلى

---

[1] مصطفى شاكر، الأندلس في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1990م، ص 5.

[2] انظر عن وصف الأندلس ج.س.كولان، الأندلس، ترجمة: إبراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، حسن عثمان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1980م، ص 69 وما بعدها.

المستوى الديني فقد كانت هناك هوة كبيرة بين رجال الدين وعامة الشعب، إذ كان الدين المسيحي والمذهب الأريوسي الذي تم تبنيه من قبل القوط مقتصرا فقط على شعائر تقام في الكنائس المختلفة المنتشرة في البلاد، وفي الجانب السياسي تم اتباع طريقة الانتخاب في مجلس النبلاء –المتكون من الأمراء وكبار الملاك ورجال الدين– لتعيين الملك الذي يحكم البلاد إلى غاية وفاته، لكن الملك الذي تسميه المصادر العربية "غيطشة Witiza" وكان حاكما مع بداية القرن الثامن ميلادي أراد توريث الحكم لابنه "أخيلا Achila"، الأمر الذي أثار ضده طبقة النبلاء واستطاعوا تنحية ابنه بعد وفاته وتنصيب الملك "لوذريق Rodrigo" مكانه، هذا الأخير الذي عرف بسوء السيرة والبطش والتنكيل بالمخالفين وقامت ضده عدة ثورات أضعفت من سلطته[1].

[1] رينهارت دوزي، المسلمون في الأندلس، ترجمة حسن حبشي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1415هـ/1994م، ج1، ص 35-36.

II-مراحل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الإسلامي:

يمكن تقسيم مراحل فتح بلاد المغرب إلى مرحلتين أساسيتين هما:

1-مرحلة الاستكشاف والاستطلاع[1]:

بعد فتح المسلمين لمصر تطلعوا إلى حدودها الغربية التي كانت تمثل بداية حدود بلاد المغرب، ولم يقحم المسلمون أنفسهم في مجاهل هذه البلاد قبل أن يرسلوا إليها طلائع استكشافية تعطي الأخبار عن طبيعة وسكان هذه المنطقة ليكون أمر فتحها يسيرا. وبدأت هذه المرحلة بمحاولات الصحابي عمرو بن العاص وانتهت ببناء عقبة بن نافع لمدينة القيروان.

أ-محاولات عمرو بن العاص: لما تم فتح مصر على يد عمرو بن العاص واستقر المسلمون بها ولتأمين حدودها الغربية تطلعوا إلى إقليم برقة الأقرب إليها، فأرسل واليها عمرو بن العاص بعثة استكشافية بقيادة قريبه عقبة بن نافع الفهري (الصحابي مولدا)، فلما رأى هذا الأخير أحوال البلاد وضعف الحامية البيزنطية بها، شجع قائده على فتحها فسار ابن العاص بنفسه إليها فافتتحها صلحا سنة 22هـ وفرض على أهلها الجزية[2]، وتمكن عقبة في هذا الوقت من فتح زويلة المدينة الداخلية، وبسر بن أبي أرطأة من فتح ودان وما جاورها، ذلك أن عمرو بن العاص كان يرى بحنكته وخبرته أنه يجب حماية خط سيره على الساحل بحملات داخل البلاد، تكون بمثابة جدار صد أمام حملات محتملة من البربر الموجودين في المدن الداخلية، ونجحت الفكرة إذ استطاعت هذه الحملات والبعثات التي فتحت كثيرا من دواخل البلاد ودانت مدنها للمسلمين أن تسهل على ابن العاص فتح بقية مدن الساحل دون خوف من هجمات البربر، وفي الطريق إلى مدينة طرابلس العظيمة كانت مقاومة البيزنطيين ضعيفة، لكن عند الوصول إليها اشتد القتال بين المسلمين والبيزنطيين المدعمين بالبربر، وبعد حصار

[1] للاطلاع أكثر على خطوط سير الفاتحين، انظر الملحق رقم2.

[2] حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ص 53.

طويل استطاع المسلمون فتح هذه المدينة، إذ انحسر البحر عن مدخل خفي دخل منه بعض الجنود المسلمين وفتحت الأبواب لبقية الجيش فانهزم من كان بداخل المدينة، وغنمها المسلمون، ثم واصلوا مسيرهم إلى مدينة صبراتة القريبة منها وافتتحت هي الأخرى، وغنم المسلمون ما في أيدي أهلها، وكان الفتح في بداية سنة 23هـ على أرجح التقديرات[1].

وصلت الأخبار إلى البيزنطيين الساكنين في بقية البلاد عن فتوحات المسلمين المتلاحقة التي استطاعت السيطرة على المنطقة المترامية من مصر إلى طرابلس ساحليا وداخليا في فترة وجيزة لم تتعد السنة، فبدأت التحضيرات من الجانبين البربري والبيزنطي للمقاومة والتحصينات في المدن القريبة من مدينة طرابلس استعدادا من هؤلاء للقاء المسلمين وصدهم عن بلادهم، ويبدو أن عمر بن العاص قد سمع بأنباء هذه الاستعدادات فهو يرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– يبشره بالفتح ويستأذنه في الاستمرار إلى فتح إفريقية فهي قريبة، وتورد المصادر نص الرسالة التي بعثها فإذا فيها: "أن الله فتح علينا طرابلس، وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل." لكن رد عمر بن الخطاب كان الرفض القاطع لأنه خاف على المسلمين من مجاهل هذه المنطقة الجديدة عليهم وأهلها الذين لا يكاد العرب يعرفون عنهم شيئا، فوجه إليه يقول:"لا إنها ليست بإفريقية، ولكنها المفرقة، غادرة مغدور بها، لا يغزوها أحد ما بقيت"[2]. وهكذا عاد عمرو بن العاص أدراجه إلى مصر وتوقفت حركة الفتوحات إلى بلاد المغرب عند برقة التي تركت بها حامية يقودها عقبة بن نافع، وكان المسلمون يقومون المرة بعد الأخرى بحملات صغيرة على جرائد الخيل، في مناطق متفرقة من نواحي برقة.

[1] مؤنس، المرجع السابق، ص 71.

[2] المرجع نفسه، ص 69.

ب-محاولات عبد الله بن سعد بن أبي السّرح: ولّى عثمان بن عفان –رضي الله عنه- ولاية مصر لأخيه من الرضاعة عبد الله بن سعد بن أبي السّرح سنة 25هـ على الأرجح، فلبث ينظم شؤونها ويبعث الحملات إلى مناطق إفريقية تستطلع الأمور وتجمع المعلومات عن البلاد وأهلها، ثم كتب إلى الخليفة عثمان يستأذنه في القيام إلى فتح إفريقية، فاستشار الخليفة كبار الصحابة في ذلك فاجتمع أمرهم على ضرورة غزوها، وما هو إلا يسير حتى بدأت جموع العرب تجتمع في المدينة تلبية لنداء الفتح، وأرسلت كل قبيلة بأفرادها لإحراز فضل الجهاد، واجتمع الناس بمكان يقال له الجرف بظاهر المدينة وخطب فيهم عثمان بن عفان وحثهم على الجهاد، وأمدهم بألف بعير من ماله يحمل عليه ضعاف المسلمين، وفرق فيهم أعطياتهم، وأمّر عليهم الحارث بن الحكم إلى أن يصلوا إلى مصر فتكون القيادة لابن أبي السرح، الذي وصلت الجيوش في بداية سنة 27هـ فبلغ تعداد جيشه عشرين ألف مقاتل، كان في صفوفهم جمع كبير من الصحابة وفيهم كثير ممن تسمى بعبد الله كعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن زيد، وغيرهم فسميت هذه الغزوة "بحملة العبادلة"، انطلق الجيش الإسلامي وكان خط سيره تقريبا هو نفس خط سير حملة عمرو بن العاص على الطريق المحاذي للساحل، فوصل إلى مدينة طرابلس التي كانت قد ازددات تحصينا عما كانت عليه وخلع أهلها طاعة المسلمين وتحصنوا بداخلها، فلم يشأ ابن أبي السرح أن يضيع جهوده في حصارها وتوجه رأسا إلى إفريقية التي كانت البيزنطيون قد حصنوا أهم مدنها وكانت أبرزها مدينة سبيطلة –الواقعة جنوبي مدينة القيروان التي أسست فيما بعد-، إذ كان على رأس هذه المدينة القائد البيزنطي "جرجير" الذي عزز من تحصيناته لها بعد أن سمع بنية المسلمين غزو إفريقية، وقد كان عاصمة البيزنطيين من قبلُ هي مدينة قرطاجنة الواقعة على ساحل البحر، لكن "جرجير" يكون قد رأى أنه إن بقي فيها فقد يقع بين قوات المسلمين من الجنوب وقوات الامبراطور البيزنطي الذي من المحتمل أن يهاجمه بسبب خلعه لطاعته، وهناك أسباب أخرى تعود لمحاولته تجميع قوات البربر في

داخل البلاد واختيار مركز متقدم لصد غزوة المسلمين، ومضى جيش المسلمين في طريقه حتى التقى مع البيزنطيين في موقع يقال له "عقوبة" على بعد يوم وليلة من مدينة سبيطلة[1].

وقد كان جيش البيزنطيين كبيرا حيث يقدره البعض بمائة وعشرين ألف جندي، وأن سلسلة من المفاوضات والمراسلات بين ابن أبي السرح وجرجير بدأت قبل نشوب القتال وأن أمدها قد طال بعض الوقت، ولم يقبل جرجير ما عرضه عليه المسلمون من الإسلام أو الجزية[2]، وبدأ القتال المباشر بين الفريقين وطال أمده حتى أعيوا ونالهم تعب شديد، ثم كتب الله للمسلمين النصر المؤزر وقتل جرجير ومعه خلق كثير من أصحابه، وتبع المسلمون الروم وحالوا بينهم وبين دخول سبيطلة وأثخنوا فيهم قتلا وأسرا، ودخلوا المدينة وغنموا ما فيها فكانت أكثر أموالهم الذهب والفضة، ثم قصدوا مدينة قفصة فسبوا وغنموا ثم إلى مرماجنة فهزموا من فيها، وتجمع الروم ومن معهم بحصن يقال له "الأجم" أو "الجم" أو "الأعاجم" وهي مدينة الجم الحالية التي تقع جنوبي القيروان. وراسلوا عبد الله أن يأخذ منهم ثلاثمائة قنطار ذهبا على أن يكف عنهم ويخرج من بلادهم فقبل ذلك بعد امتناع، وقيل أنه صالحهم على ألفي ألف وخمسمائة ألف وقبض المال، وكان في شرط صلحهم أن ما أصاب المسلمون قبل الصلح فهو لهم وما أصابوه بعد ذلك ردوه عليهم[3].

وبعد انتهاء المواجهات قسّم ابن أبي السرح الغنائم بين جيشه فكان نصيب الفارس منها ثلاثة آلاف دينار ونصيب الراجل ألف دينار مع كثير من السبي، وبعث بخمس المغنم إلى الخليفة عثمان، فكان على جانب كبير من الأهمية، وقد تعجب المسلمون من كثرة أموال أهل إفريقية

---

[1] أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م، ص 317.

[2] علي بن أبي الكرم ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ/1987م، ج2، ص 483.

[3] المصدر نفسه، ج2، ص 484.

فسألوهم عن السبب، فكان الرجل منهم يبحث في الأرض ثم يشير إلى نواة الزيتون ويقول لأجل هذا لأن أهل البحر والجزر ليس لهم زيت فكانوا يمتارونه من هنا[1].

وكان من نتائج هذه الحملة أن دانت إفريقية للمسلمين، وخافت الروم من قوتهم، وتشتت جموع البربر التي كانت مساندة للبيزنطيين، كما نبهت البربر لحليف جديد هو العرب الذي يستطيع حمايتهم من الروم، وخلصت البربر من دفعهم الجزية للروم إذ أصبح هؤلاء هم المطالبون بدفعها للمسلمين، ودعمت هذه الحملة صفوف الجيوش العربية بعنصر هام له دراية وقوة حربية كبيرة وهم البربر الذين أصبحوا في موقع المدافع عن الإسلام بعد أن كانوا أعداء له.

لكن الملفت للانتباه أن ابن أبي السرح اكتفى بأخذ الأموال، وعقد الصلح مع أهل البلاد ولم يترك حامية أو واليا من قبله على المنطقة، وعاد هو وجنده إلى مصر، وربما تعود أسباب هذه الحركة المفاجئة والتي ضيعت على المسلمين الاستفادة من نتائج الفتح والاستقرار في البلاد، أن عبد الله أراد العودة إلى مصر للإشراف على أمورها وقد مضت أكثر من سنة على قدومهم إلى إفريقية، ثم إن الجيش الإسلامي قد أنهكته المواجهات المستمرة والمعارك المتتالية والبعد عن الديار والأهل، وكذا كثرة وثقل الغنائم التي كان يحملها، إضافة إلى الأخبار التي كانت تصل باستعدادات محتملة للبيزنطيين لمواجهة المسلمين الذين بدأت أعدادهم تقل بالنظر إلى من استشهد منهم في هذه الحملة الطويلة[2].

ج-محاولات معاوية بن حديج: بعد توقف الفتوحات الإسلامية لإفريقية فترة من الزمن بسبب انشغال المسلمين والخلافة بالفتنة بعد مقتل عثمان –رضي الله عنه- والمعارك التي جرت بين علي ومعاوية، وبعد أن استقر الأمر للأمويين، أرسل معاوية بن أبي سفيان حليفه وأحد المناصرين للبيت الأموي معاوية بن حديج السكوني سنة 45هـ لمواصلة الفتوح في بلاد المغرب، ورغم أن بعض

[1] البلاذري، المصدر السابق، ص 318.

[2] مؤنس، المرجع السابق، ص 81-106.

المصادر تؤرخ لقدوم بن حديج بسنة 34هـ إلا أن هذا التاريخ يستبعد كون الأحداث التي كانت دائرة في مشرق الدولة الإسلامية قد شغلت حكام الدولة عن الاهتمام بأمر الفتوح[1].

وحاصل الأمر أن معاوية بن حديج قد خفّ للمسير إلى إفريقية استجابة لطلب الخليفة الذي تحمس لفتح البلاد بعد أن توقفت فترة طويلة، وقد يكون ذلك تلبية لاستنجاد القائد الرومي "جناحه" أو "حباحبة" الذي استنصر بالمسلمين ضد البيزنطيين ومبعوثهم "أوليمة" أو "أوليمبة" حيث طالب هذا الأخير البربر بدفع نفس الجزية التي دفعوها لابن أبي السرح في عقد الصلح، فأبوا عليه[2]، وسار ابن حديج حتى بلغ إقليم قمونية بإفريقية، وبدأ بفتح مدنه ومنها جلولاء، وسوسة وعسكر بجنده شمالي القيروان الحالية وبنى لهم معسكرا سمي بمعسكر القرن لاستراحتهم ووضع خيولهم وأسلحتهم واحتفر آبارا نسبت إلى أبيه "آبار حديج"، ومنها انتقل شمالا فافتتح بنزرت ولم يعرج على قرطاجنة عاصمة البلاد لأسباب ما تزال مجهولة، وبعث إلى جزيرة صقلية عبد الله بن قيس فدخلها وغنم بها، وبعث رويفع بن ثابت الأنصاري إلى جزيرة جربة فافتتحها، وكانت غنائم حملة معاوية مهمة قسمها على جنده وبعث خمسها إلى دمشق، ورغم أن مدة هذه الحملة طالت إلى خمس سنوات إلا أن المدن المفتوحة فيها لم تكن على قدر كبير من الأهمية، غير أنها أعادت للمسلمين السيطرة على بلاد إفريقية بعد أن طالت مدة غيابهم عنها، ومحاولة البيزنطيين استرداد بعض سيطرتهم عليها، وجاء قرار العزل لابن حديج من على رأس ولاية إفريقية من قبل الوالي الجديد على مصر وهو مسلمة بن مخلد الأنصاري، وبهذا نكون على موعد مع مرحلة جديدة من مراحل فتح بلاد المغرب.

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 14.

[2] المصدر نفسه، ص 17.

2.مرحلة التنظيم والاستقرار[1]:

وهي المرحلة التي شهدت فيها أعمال الفتح الإسلامي لبلاد المغرب تنظيما للحملات، وبداية استقرار للمسلمين في هذه البلاد، نتج عنه مدّ نفوذ متزايد يوما بعد يوم على المناطق المفتوحة، ودخول أفواج من البربر في جماعة المسلمين، وأول من بدأ سياسة التنظيم والاستقرار هو الفاتح العظيم عقبة بن نافع.

أ-ولاية عقبة بن نافع الأولى على إفريقية (50-55هـ/670-675م): أسند الأمويون شؤون إفريقية لوال مستقل عن مصر لأول مرة وهو عقبة بن نافع الفهري الصحابي مولدا، وهو العارف المتمرس في بلاد إفريقية لأنه رافق الحملات منذ عهد عمرو بن العاص، وعرف هذه البلاد طبيعتها وطرقها ومناخها وأهلها وعاداتهم وكيفية التعامل معهم، وأنسب الطرق والأساليب لفتح هذه المنطقة، لذلك فإنه بمجرد أن تولى زمام الأمر رأى أنه لا بد من اختيار الطريق المناسبة للسير إلى إفريقية، فلم يسلك الطريق الساحلية التي سلكها أسلافه وإنما اختار طريقا داخلية تعبر الواحات وفي طريقه أخضع قبائل لواتة ومزاته وسيطر على غدامس وقفصة وقسطيلية وتوزر، وحين وصل إلى موضع القرن الذي ابتناه ابن حديج لم يعجبه، وقرّر أن يؤسس للمسلمين مركزا ومستقرا يكون لهم عزا لآخر الدهر ومحطة متقدمة في بلاد المغرب تغني المسلمين عن مشقة العودة إلى برقة أو مصر، لذا اختار موقع القيروان (القيروان بمعنى: موضع اجتماع الجند أو مخزن المؤن والأثقال، وقيل هي الجيش نفسه) الحالية البعيدة عن الساحل لئلا تناله أيدي الروم المتربصين، وغير الموغل في الداخل ليكون بعيدا عن تحركات البربر وقريبة من السباخ لتوفر الكلأ والماء، وتم بناء المدينة الجديدة على نمط بناء المدن الإسلامية في ذلك الوقت، واستمر العمل بها مدة خمس سنوات بعث خلالها "عقبة" حملات متعددة إلى أطراف إفريقية لكنها لم تكن حملات حربية بالمعنى الكامل.

[1] انظر الملحق رقم 03.

وكان من نتائج إنشاء قاعدة القيروان:

-إقبال البربر على الدخول في دين الله بمجاورتهم للقاعدة الدعوية الجديدة.

-تقوية الروح المعنوية للمسلمين.

-استقرار المسلمين في بلاد إفريقية وتثبيت دعائمهم فيها.

-سهولة التوسع بوجود المركز الحيوي لانطلاق البعثات والحملات.

-إبعاد الخطر البيزنطي الذي كان يتهدد المنطقة باستمرار.

-أصبحت إفريقية ولاية إسلامية جديدة لا يمكن للمسلمين التخلي عنها.

ب-ولاية أبي المهاجر دينار:

لما وُلي مسلمة بن مخلد الأنصاري على مصر لم يعجبه انصراف عقبة عن الرجوع إليه في تدبير أمر إفريقية، فعزله وولى مكانه مولاه "أبا المهاجر دينار" الذي أساء التصرف مع "عقبة" فسجنه وآذاه، ولم يطلق سراحه إلا عندما تدخل "معاوية بن أبي سفيان" فأرسله إلى دمشق عند الخليفة الذي وعده بإعادته إلى ولايته. وبدأ "أبو المهاجر" ولايته الجديدة بصرف الناس عن مدينة القيروان بإخلائها، واختار مركزا قريبا منها أقام فيه وجنده ونقل إليه سكان القيروان وسميت هذه القاعدة الجديدة "تاكيروان" وهي قريبة من مساكن قبيلة "مزاتة" البربرية في جبل وسلات[1].

ومن ميزات سياسة "أبي المهاجر" التقرب من البربر وكسبهم للإسلام بالحسنى والتحالف معهم ضد الروم، ثم التوغل في بلاد المغرب، حيث أنه أول من دخل المغرب الأوسط من الفاتحين إذ وصل سنة 55هـ إلى مدينة تلمسان وكان في طريقه يخضع المدن والمراكز التي يمر بها، وحفر آبارا في

[1] موسى لقبال، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية، 1981م، ص 34.

مدينة تلمسان لا زالت تسمى باسمه "عيون أبي المهاجر"، وتصدت له قبيلة "أوربة" التي كانت تسكن المغرب الأقصى لكنه استمالها وصاحب قائدها "كسيلة بن لمزم" حتى لازمه في تنقلاته مما أسفر عن إسلام قبيلته، وقد واجه "أبو المهاجر" كذلك الروم المتمركزين في "قرطاجنة"، وكلف حنش بن عبد الله الصنعاني بفتح جزيرة شريك فافتتحها وقسم "أبو المهاجر" غنائمها وبعث الخمس إلى مصر. ومن نتائج سياسة أبي المهاجر:

-دخول البربر في دين الله بسبب سياسة اللين والمسامحة.

-أصبح البربر حلفاء موثوقين للعرب المسلمين.

-إيجاد مراكز ثابتة لتكسير مقاومة الروم.[1]

هذا ولم تذكر المصادر الكثير عن أعمال أبي المهاجر بسبب وقوعها بين ولايتي عقبة بن نافع.

ج-ولاية عقبة بن نافع الثانية(62-64هـ):

بعد وفاة معاوية —رضي الله عنه- واستخلاف ابنه "يزيد" قام هذا الأخير بعزل "أبي المهاجر" وإعادة "عقبة" إلى عمله فأسرع إلى إفريقية وعزل سلفه واشتد عليه فأسره هو وصاحبه "كسيلة" وخرب "تاكيروان" وجدّد ما خرب من مباني القيروان وجلب إليها السكان وأعاد إليها النشاط من جديد ثم انطلق إلى حملته الكبرى بعد أن استخلف "زهير بن قيس البلوي" و"عمر بن علي القرشي" على القيروان مع حامية عربية كبيرة، وأوصى أولاده بعدة وصايا وودّعهم قائلا :"إني قد بعت نفسي إلى الله، فلا أزال أجاهد من كفر بالله، وأراكم لا ترونني بعد يومكم هذا".وانطلق يشق المغرب من أدناه إلى أقصاه والتحم مع جموع البربر والروم في "باغاية" وحاصرهم في مدينتهم، ثم انتقل إلى مدينة "أدنة" -التي هي مدينة المسيلة حاليا-، كبرى مدن إقليم الزاب فهزم الروم وألجأهم إلى الحصون، ثم

[1] لقبال، المرجع السابق، ص 36.

رحل إلى نواحي نهري شلف ومينة حيث واجهته تجمعات رومية وبربرية لاقى المسلمون منها عنتا شديدا، لكنهم استطاعوا هزيمتها كما هزموا الجيش الحامي لمدينة تلمسان، وواصل عقبة سيره إلى منطقة الريف وإقليم السوس، وفي طنجة التقى مع حاكمها "يوليان" الذي أظهر له الولاء، ثم قصد إقليم درعة ومساكن القبائل الصنهاجية حتى أشرف على البحر المحيط، ثم عاد قاصدا مدينة القيروان من جديد، وكان عقبة في طريقه يبني المساجد وينشر الإسلام ويعلم البربر فدخلت قبائل حاحة ورجراجة وصنهاجة وغيرها في دين الله أفواجا.

وعندما وصل عقبة إلى منطقة تهودة من إقليم الزاب سرح أمامه جنده إلى القيروان وترك معه عددا قليلا، مما أغرى البربر وعلى رأسهم "كسيلة" –الذي كان قد فرّ من الأسر– فجمعوا قواهم وانقضوا على ما بقي من جيش عقبة الذي استبسل هو وجنوده ومعهم "أبو المهاجر" وأبوا إلا أن يصمدوا ويقاتلوا حتى استشهدوا وسيوفهم في أيديهم، ولا يزال الموقع الذي وقعت فيه هذه الفاجعة يشهد على ذلك[1] (وهي منطقة سيدي عقبة الحالية في ولاية بسكرة).

أسباب النكبة:

–استخدام عقبة لسياسة قاسية تجاه البربر وهو ما جعله يفقد تحالفه معهم، ويمهد الفرصة لدخول البيزنطيين لإعادة التحالف مع البربر.

–وقوع عقبة تحت إغراء الجغرافيا، حيث تقدم بقواته عبر مساحات واسعة دون أن يوفر لها حماية برية كانت أو بحرية.

–عدم رسم خطة محددة الأهداف، وهذا ما جعل قوات عقبة منتشرة وبعيدة عن مناطق الإمدادت، كما أنه ترك خلفه جيوبا كثيرة للأعداء لم تلبث أن تجمعت ضده.

[1] أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955م، ج1، ص 38-39.

-السماح للجند بالعودة إلى القيروان وبقاء عقبة في قلة من الرجال.

بعد ذلك انسحب "زهير بن قيس البلوي" بمن بقي من المسلمين من القيروان إلى برقة تاركين المجال لكسيلة وجنوده طيلة خمس سنوات ولم تسيّر الخلافة في دمشق أي قوة لاستعادة المجد الضائع وذلك بسبب انشغالها بالفتن والمشاكل والثورات الداخلية وعلى رأسها ثورة "ابن الزبير" و"المختار الثقفي".

وفي هذه الأثناء لم يؤثر عن كسيلة أي عمل عسكري أو تخريب لمدينة القيروان، ولم تذكر المصادر أي ردة له عن الإسلام.

د-ولاية زهير بن قيس البلوي(69هـ):

بعد أن استتب الأمر للخليفة "عبد الملك بن مروان" أمر زهير بن قيس المتواجد ببرقة بسرعة الدخول إلى إفريقية وإنقاذ المسلمين بها ومحاربة "كسيلة" وأمده الخليفة بحوالي 6000 آلاف رجل (2000 من البربر و4000 من العرب) وبالخيل والأموال من مصر، فزحف "زهير" إلى القيروان والتقى بكسيلة عند قرية "سبيبة" بجوار "وادي ممس"، وكان البربر والروم في أعداد كبيرة تفوق أعداد المسلمين قد عسكروا هنالك بالقرب من المياه والجبال، فإذا انتصروا تتبعوا المسلمين إلى طرابلس، وإذا انهزموا لاذوا بالجبال، والتقى الفريقان واشتدت الحرب وكثر الموت بينهم إلى أن قتل كسيلة وانهزمت جموع البربر والروم، وتتبعهم المسلمون فقتلوا وغنموا وثأروا لقتلى معركة تهودة.

وترك زهير حامية صغيرة في القيروان بعد أن أصلح أمورها وأمن أهلها ثم أسرع لنجدة أسرى المسلمين الذين هجم عليهم الروم ببرقة غير أنه كان في عدد يسير سهّل على الروم المتواجدين بالقرب من الساحل هزيمته وقتل زهير وجميع أصحابه وغنم أعداؤهم كل ما لديهم، وشبهت هذه الواقعة بوقعة تهودة، وعرفت قبور هؤلاء قبور الشهداء في مدينة درنة. وقد تركت هذه الهزيمة فراغا كبيرا في بلاد المغرب سمح للروم والبربر بالتحرك في حرية تامة، وأخّر الفتح لسنوات إضافية، وذلك بسبب

عدم استفادة المسلمين من نتائج معركة ممس، وتسرع "زهير" في مواجهة الروم دون انتظار المدد من برقة، فانتهت ولايته سنة 69هـ[1].

هـ-ولاية حسان بن النعمان الغساني (73-85هـ):

بعد القضاء على حركة ابن الزبير في الحجاز تفرغ الأمويون للفتح فأرسل "عبد الملك" جيشا ضخما بقيادة "حسان بن النعمان" الملقب بالشيخ الأمين وأعطى له حرية التصرف في أموال مصر بقوله: "إني قد أطلقت يدك في أموال مصر، فاعط من معك، ومن ورد عليك، واعط الناس، واخرج إلى بلاد إفريقية على بركة الله". في هذه المرحلة أصبحت ولاية إفريقية ولاية مستقلة عن ولاية مصر وتابعة للخلافة مباشرة، وخرج "حسان" بقوة بلغت أربعين ألف مقاتل انضم إليهم عرب وبربر في مدينة طرابلس، فعيّن حسان بعض البربر على قيادة الجيش منهم "هلال بن ثروان اللواتي"، وزحف بأكبر جيش إسلامي يدخل إفريقية بادئا بالروم المتواجدين بقرطاجنة ليمنع تحالفهم مع البربر وحاصرهم داخل المدينة وقطع عنهم المياه فاضطرهم إلى الاستسلام والهروب على متن السفن إلى الجزر المجاورة، ثم هزم المسلمون تجمعا للروم والبربر بمدينة بنزرت وشتت شملهم، وتابع فلول المنهزمين إلى قرطاجنة فخرب حصونها وهدم أسوارها، ثم سأل عمن بقي من ملوك البربر فدُلّ على زعيمة البربر البتر والملقبة "بملكة جبل الأوراس" والمسماة الكاهنة والتي وحدت البربر وعزمت على التصدي للفاتحين المسلمين، وانتقلت إلى مدينة "باغاية" وعسكرت أسفل "وادي مسكيانة" الذي عسكر "حسان بن النعمان" أعلاه، والتقى الجيشان سنة 75هـ، وانتهت المواجهة بهزيمة جيش حسان وانسحابه إلى برقة حيث أقام في مكان لا يزال يعرف إلى الآن "بقصور حسان" بعد مقتل عدد كبير من أصحابه وأسر نحو سبعين على ثمانين منهم من بينهم "خالد بن يزيد العبسي" الذي اتخذته

[1] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 30.

الكاهنة ابنا على طريقة البربر بأن أرضعته من ثديها مع ولديها، وجعلته مستشارا لها، لكنه كان يعمل بالمقابل لصالح جيش حسان ويرسل إليهم أخبار البربر وزعيمتهم[1].

بعد هذه الهزيمة أمر الخليفة حسانا وجيشه بالبقاء في برقة وترقب الأحداث فلبثوا حوالي خمس سنين، وفي هذه الأثناء لجأت الكاهنة إلى تخريب عمران إفريقية وبلاد المغرب واتباع (سياسة الأرض المحروقة) ظنا منها أن العرب إنما يريدون المدن والعمران، فأدى ذلك إلى تخريب كثير من المدن العامرة وتقطيع الأشجار وإهلاك الزروع والنعم التي كان بلاد المغرب تتمتع بها، فنقم البربر من زعيمتهم هذه السياسة التي أضرت بهم، وهنا أذنت الخلافة لجيش حسان بالمسير إلى إفريقية وإخضاع الكاهنة وقبيلتها واستعادة نفوذ المسلمين بهذه البلاد.

بدأ حسان بن النعمان زحفه بفتح مدينة "قابس" وعين عليها واليا مسلما، وافتتح "قفصة"، "وقسطيلية" و"نفزاوة" سلما سنة 80هـ، ثم خرج بجيش ضخم يضم عددا كبيرا من البربر، وتقول المصادر أن الكاهنة قد تنبأت مسبقا بنتيجة المعركة، وطلبت من خالد بن يزيد الاعتناء بولديها الذيْن نصحتهما بالانضمام إلى معسكر "حسان"، وفي نواحي جبال الأوراس دارت معركة كبيرة انتهت بهزيمة الكاهنة وجيشها سنة 82هـ وحُمل رأسها إلى دمشق، واستسلم بعد ذلك كثير من البربر فلم يقبل منهم حسان إلا بعد أن سلموا اثني عشر ألفا منهم دعما لجيوش المسلمين فأسلموا على يديه وانضموا إلى جيوش الفتح[2].

وعاد الروم إلى مدينة قرطاجنة لكن حسان نازلهم فهزمهم واضطرهم إلى الاستسلام لكنهم عمدوا إلى الاحتيال بالتظاهر بالطاعة وحملوا أموالهم وأهاليهم على متن سفنهم الراسية إلى جزر

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 37.

[2] الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق محمد زينهم عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 1414هـ/1994م، ص 50.

البحر الرومي، وعندئذ دخل المسلمون المدينة وخربوها من جديد وقطعوا عنها مصادر المياه ليبأس الروم من العودة إليها. ثم انتقل إلى مدينة "ترشيش" البعيدة عن البحر وبنى على أنقاضها مدينة "تونس" ووصلها بالبحر، وبنى بها دارا لصناعة السفن، وأقام بها مسجد الزيتونة، وكلف البربر بقطع الأشجار من الغابات وجلبها لدار الصناعة، كما عمل القبطيون الذين بعث بهم والي مصر عبد العزيز بن مروان بالإشراف على صناعة السفن، وأمر "حنش الصنعاني" بجباية الأموال والخراج، وأقطع الأراضي للمسلمين وجل لكل قبيلة أرضا تخدمها وتؤدي عنها خراجها، كما اهتم بإعمار مدينة القيروان وجلب الناس إليها وإعادة بناء مسجدها، ودوّن الدواوين وجعل ولاة على الأقاليم وهو أول من فعل هذا في بلاد المغرب، ثم قسم الفيء بين البربر، واستطاع القضاء على الجيوب المتبقية للمقاومة البربرية في المناطق الساحلية والجبلية[1].

وفي سنة 85هـ وبعد كل هذه الأعمال العظيمة في بلاد إفريقية استدعى "عبد العزيز بن مروان" حسانا تمهيدا لعزله لأنه رأى أن شخصية حسان قد أصبحت ذات شأن في حركة الفتح، ولم يعد معها لوالي مصر أي ذكر ولا مشورة ولا رأي لأن حسان كان يكاتب الخليفة مباشرة، وكذا الغنائم العظيمة التي حصل عليها من البلاد المفتوحة، وتذكر المصادر أن سبي البربر بلغ 3500 رأس وبلغت الأموال 80000 دينار من الذهب، استولى عبد العزيز والي مصر على معظمها، ولم يسلم منها إلا الجواهر الذهبية والفضية التي أخفاها حسن في قرب الماء وأفرغها عند عبد الملك بن مروان وشكا له فعل عبد العزيز به وعزله فوعده الخليفة بردّه إلى عمله، لكنه حلف ألا يلي لبني أمية عملا بعد ذلك، وتوفي بعدها بقليل.

[1] لقبال، المرجع السابق، ص 74.

و-ولاية موسى بن نصير (86-92هـ):

استخلف عبد العزيز بن مروان مولاه موسى بن نصير على ولاية إفريقية فحمل أولاده وأولاد عقبة بن نافع الفهري وسار إلى الجيوش المرابطة ببلاد المغرب، وبدأ حملة جديدة في تطهيرها من الكفر بتوجيه الكتائب إلى المدن والأقاليم بقيادة أبنائه وأبناء عقبة خاصة، وكان في كل مرة يرسل السبي والغنائم العظيمة إلى مصر[1]، وقد وصلت الفتوحات في عهده إلى مضارب قبائل صنهاجة وقبائل الصحراء، وكذا قبيلة أوربة ومناطق السوس الأقصى والمصامدة في جبال درن، ووصل إلى طنجة وعين عليها طارق بن زياد الورفجومي واليا، وبعث إلى المنطقة فيما يقال سبعة عشر من فقهاء العرب عملوا على نشر تعاليم الدين الإسلامي بين البربر، وهنا استقر العرب في بلاد المغرب وإفريقية، وتم فتحها ودخل أهلها في دين الله أفواجا، عاد بعدها موسى بن نصير إلى القيروان لاستكمال الأعمال المصاحبة لعملية الفتح والتنظيم للمنطقة، بالإضافة إلى تدعيمه لبناء الأسطول الحربي وضرب قواعد البيزنطيين في جزر البحر.

أسباب طول مدة فتح بلاد المغرب:

طالت مدة فتح بلاد المغرب كثيرا إذ امتدت من عهد عمرو بن العاص سنة 22هـ إلى غاية استكمالها سنة 92هـ على يد موسى بن نصير ويمكن إجمال أسباب طول هذه المدة في:

1. مناعة بلاد المغرب وشدة مراس أهلها وشجاعتهم في القتال.

2. تحالف الروم والبربر في كل مرة يلمسون فيها غياب العرب عن بلادهم وعودتهم إلى العصيان.

3. توقف حركة لفتح مرات متكررة ولسنوات عديدة لأسباب مختلفة.

4. انشغال المسلمين والخلافة بالفتن والخلافات في المشرق.

[1] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 33.

5.قلة خبرة المسلمين بالشؤون الحربية أمام التفوق البيزنطي.

6.سياسة العنف وإقصاء البربر عن الشؤون السياسية والحربية.

7.عدم وجود استراتيجية واضحة لحركة الفتح وتغير سياستها مع كل فاتح.

3-فتح بلاد الأندلس:

بعد استكمال عملية فتح بلاد المغرب وتنظيمه أضحت هذه المنطقة ولاية إسلامية خالصة، ودانت للمسلمين من برقة إلى طنجة، وكان بمدينة سبتة والٍ قوطي يدعى "يوليان" تابع للحكم القوطي في إسبانيا وكان طارق بن زياد قد سالمه، وبسبب علاقة الود بينهما إضافة إلى رغبة "يوليان" في الانتقام من "لوذريق Rodrigo" حاكم إسبانيا بسبب تلطيخه لشرف ابنته "فلورندا"، يقترح يوليان على طارق مساعدته ودله على مواطن الضعف لفتح بلاد الأندلس، فاستشار طارق أميره موسى بن نصير الذي تكون قد وصلته مراسلات أبناء "غيطشة Witiza" الحاكم السابق لإسبانيا والذين اغتصب "لوذريق" أموالهم وأراضيهم فاستنجدوا بموسى الذي سارع إلى مكاتبة الخليفة "الوليد بن عبد الملك" مُهوّنا في عينه عملية فتح بلاد الأندلس ومبينا له قدرة المسلمين على فتحها في أقصر وقت وبأقل التكاليف، وهنا يأذن الخليفة بذلك مشترطا إرسال حملات استطلاعية للأندلس قبل الزج بالمسلمين في مجاهلها[1].

أُرسل "طريف بن مالك المعافري" في رمضان سنة 91هـ في أول حملة استطلاعية إلى الأندلس ونزل بالمكان المعروف إلى الآن بجزيرة طريف أو "tarifa" ومعه حوالي 500 رجل فأغاروا وسبوا وغنموا مالا كثيرا، وبينوا للمسلمين ضعف المقاومة والحماية الإسبانية مما حفّز "طارق بن زياد" على

[1] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، 1410هـ/1989م، ص 34.

المرور إلى شبه الجزيرة الإيبرية مصطحبا معه سبعة آلاف استعانوا بالسفن التي صنعها المسلمون أو أمدهم بها "يوليان" ووصلوا إلى ساحل الجزيرة الخضراء في رمضان 92هـ، وهناك تصدت لهم قوة إسبانية استطاعوا هزمها، وبنى بها العرب سورا سمي باسمهم، ومن هنا حمل الجبل المقابل للعدوة المغربية اسم "جبل طارق" واستمر المسلمون في الدخول إلى الأندلس وهنا استنفر "لوذريق" جيوشه وقرر التصدي للخطر الداهم بعد أن كان منشغلا بإخماد بعض الثورات في شمال إسبانيا، فبعث طارق إلى موسى يسأله المدد فسيّر إليه خمسة آلاف مقاتل، فأصبح مجموع جيشه اثنا عشر ألفا، ودار معركة كبيرة في 27 رمضان 92هـ/ 19 يوليو 711م في كورة "شذونة" جنوب غرب إسبانيا وهي التي تعرف بمعركة وادي لكة، ودامت إلى غاية 5 شوال وكانت فاصلة قتل فيها عدد كبير من القوط وعلى رأسهم "لوذريق"، واتجه بعد ذلك طارق إلى العاصمة "طليطلة" بالجيش الرئيسي وأرسل أقساما إلى قرطبة بقيادة "مغيث الرومي" فاستولى عليها بعد حصار دام ثلاثة أشهر، وقسما إلى "إلبيرة" فاستولوا عليها، وكان طارق يترك من يتولى شؤون البلاد والمدن المفتوحة خاصة بعد المساعدة التي كان يتلقاها من يهود الأندلس الذين نالهم اضطهاد كبير من القوط[1].

ودخل جيش طارق إلى طليطلة التي فر عنها أهلها وغنم منها أموالا وكنوزا عظيمة، ولمّا خشي من أن يقطع عليه أعداؤه الطريق مع قدوم فصل الشتاء وامتلاء أيادي المسلمين بالغنائم الثقيلة والتعب الكبير الذي نالهم بعث موسى بن نصير يسأله المدد، فعبر إليه في ثمانية عشر ألفا أغلبهم من العرب ومن بينهم عدد من التابعين في رمضان 93هـ.

سار موسى بن نصير بجيشه غرب الطريق الذي سلكه طارق[2] واستولى على مدن قرمونة وإشبيلية وماردة ولبلة وباجة ومرسية، منها ما فتح صلحا ومنها ما فتح عنوة، وكان يترك في كل مدينة

[1] مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الثانية، 1410هـ/1989م، ص 19.

[2] عن خطوط سير الفتوحات في بلاد الأندلس، انظر الملحق رقم 04.

حامية ووواليا من طرفه، ثم التقى بطارق بن زياد عند نهر التاجو بالقرب من العاصمة طليطلة، وأقاموا بها يتربون أحوالها ويدعون إلى الإسلام بها، وتم ضرب العملة الإسلامية بها أواخر سنة 94هـ. ثم تابع القائدان مسيرهما إلى المناطق الشمالية فافتتحوا سرقسطة ووشقة وبرشلونة ولاردة حتى وصلا إلى شاطئ البحر الشمالي عند حدود فرنسا الجنوبية، وقد راعت فتوحاتهما ملك فرنسا في ذلك الوقت فأسرع إلى تحصين المنطقة بينه وبين الأندلس، ولم يهمل المسلمون إلا منطقة في أقاصي الشمال الغربي للجزيرة الإيبرية والمسمى بإقليم أشتوريس في منطقة جليقية بسبب قلة عدد النصارى بها وتواجدها في منطقة جبلية وعرة تسمى إلى الآن "صخرة بلاي Pelayo"زعيمهم، ومنها تكونت مملكة ليون التي استطاعت بعد ثمانية قرون من الاستيلاء على بلاد الأندلس فيما عرف بعد بحركة الاسترداد المسيحي[1].

وبعد الفتح العظيم في بلاد الأندلس يستدعي الخليفة "الوليد" كلا من موسى وطارق ويستعجلهما في القدوم إلى دمشق، وإذ ذاك يستخلف موسى أبناءه فيجعل "عبد العزيز" على الأندلس يستكمل فتوحها، و"عبد الملك" على المغرب الأقصى، و"عبد الله" على إفريقية، ويعود هو وطارق محملين بأنواع الغنائم الباهرة والتحف النادرة منها "مائدة سليمان" وعدد كبير من السبي والجواهر والذخائر والنفائس، وعندما بلغا فلسطين طلب منهما "سليمان بن عبد الملك" التريث وكان وليا للعهد، لكن موسى قرر متابعة السير إلى دمشق أين وجد الخليفة قد توفي أو كاد منتصف سنة 96هـ[2]، فوضع الغنائم بيد سليمان الذي أساء معاملته وغرّمه أموالا، وبعد ذلك ينتهي ذكر هذين القائدين العظيمين ويموتان في صمت بعد أن فتحا البلاد وجعلا المغرب والأندلس بلادا إسلامية خالصة.

[1] حسين مؤنس، فجر الأندلس، دار المناهل، بيروت، الطبعة الأولى، 1422-2002م، ص 98.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 45.

المحور الثاني:عصر الولاة

ما إن تم الفتح وأُستكمل على يد موسى بن نصير آخر الفاتحين في بلاد المغرب الذي استخلف أبناءه حتى بدأ عصر جديد سمي بعصر الولاة ويستمر إلى غاية ظهور الدول المستقلة في بلاد المغرب، وإعادة بعث الدولة الأموية في بلاد الأندلس بقيادة عبد الرحمن الداخل وسنلقي هنا الضوء على بعض المحطات المهمة في هذا العصر.

ويعني مصطلح عصر الولاة في بلاد المغرب الإسلامي الفترة التي تمتد من استدعاء موسى بن نصير من قبل الخلافة في دمشق سنة 97هـ إلى غاية تأسيس الدول المستقلة عن الخلافة في المشرق، ابتداء بالدولة الأموية سنة 138هـ بالأندلس، والدولة المدرارية سنة 140هـ بسجلماسة، والرستميين سنة 161هـ ببلاد المغرب الأوسط.

1-عصر الولاة في المغرب:

بعد وفاة الخليفة الوليد وانتقال الأمر إلى أخيه سليمان سنة 96هـ اختار "محمد بن يزيد القرشي" وعينه على ولاية إفريقية وعقد له على بلاد المغرب كلها فوصلها سنة 97هـ، وكانت أولى أعماله هي حبس وتعذيب أبناء موسى بن نصير واستصفاء أموالهم، عدا هذا فإن سيرة هذا الوالي كانت تتسم بالعدل وحسن المعاملة.

وكان من أهم ما يميز محمد ين يزيد رغبته الشديدة في نشر الإسلام بين البربر الذين لم يكن قد اكتمل إسلامهم بعد، فتحمل أعباء نشر الإسلام بينهم بكل جدية ورفق وحرص، وعرف كيف يعاملهم بالطريقة التي تحببهم في الإسلام وأعلى من شأنهم فجعل لهم مكانة وشاورهم وأظهر لهم الود والاحترام فدخلوا في دين الله أفواجا، وكان يبعث السرايا إلى ثغور إفريقية ويقسم الغنائم على الجنود وكانت ولايته سنتين وأشهرا[1].

[1] السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 46.

لما تسلم عمر بن عبد العزيز أمر الخلافة بعد ابن عمه سليمان، بعث إلى بلاد المغرب إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر دينار فكان كما قال المؤرخون خير أمير وخير وال[1]، وقام بالعدل، ويؤثر أن عمر بن عبد العزيز بعث معه عشرة من علماء التابعين يعلمون الناس أمور دينهم وأبرز هؤلاء إسماعيل بن عبيد الله الأنصاري وعبد الرحمن بن نافع[2]، وسارع هؤلاء لدعوة أهل المغرب وتعليمهم أصول دينهم وبث العلم الصحيح بينهم فنشطت في عهد هذا الوالي الحياة الثقافية، والحركة العمرانية في الكتاتيب والمساجد، وكانت النتائج باهرة فقد أقبل البربر على الإسلام جملة عندما أدركوا أنه يرفع عنهم الجزية، ويمتعهم بأراضيهم، ويسمح لهم بالاشتراك في الجيش، وممارسة القيادة والظفر بالمواطنة[3]، والتمتع بالحرية التامة في إطار الشريعة الإسلامية السمحة.

وقد كان لإسماعيل بن عبيد الله اليد الطولى في الجهاد، إذ وضع خطة استهدف منها تطهير بلاد المغرب من بقايا الروم الذين يبثون الدعاية ضد الإسلام، كما كان له الفضل في انتشار الإسلام في الجهات النائية البعيدة، وهو أول من دخل البلاد المستعصية وبث فيها الإسلام[4].

وبعد وفاة الخليفة عمر ولى خلفه يزيد بن عبد الملك رجلا آخرا ممن كانوا مع الحجاج بن مسلم الثقفي في العراق وتأثر بسياسته الشديدة خاصة مع الموالي، لذلك أساء معاملة البربر وقرر أن يسم كل واحد من خدمه في أيديهم بكتابة اسمه وتسمية حرسه، وفرض الجزية على البربر رغم إسلامهم، وأمر بإعادتهم إلى قراهم ليعيشوا كما كانوا قبل إسلامهم، فثار عليه البربر، وقتلوه وولوا مكانه محمد بن يزيد، ثم كتبوا إلى الخليفة: "إنا لم نخلع يدا من طاعة ولكن يزيد سامنا مالا يرضي الله

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 48

[2] محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى، 1408هـ/1988م، ص 190-191.

[3] لقبال، المرجع السابق، ص 104.

[4] محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة الطبعة الأولى، 191/2.

ورسوله فقتلناه وأعدنا عاملك"[1]. وهكذا لم تدم فترة حكم يزيد أكثر من شهر، فبعث إليهم الخليفة أني لم أقر ما فعل ابن أبي مسلم وأقر محمد بن يزيد على المغرب لفترة ثم بعث إليهم واليا آخر هو بشر بن صفوان الكلبي.

تميز بشر بن صفوان بالعقل والرزانة والشجاعة وحسن التدبير والإدارة، فعامل البربر باللين والحسنى واستمالهم بالاحترام والتقدير، فدانوا بالطاعة والولاء وهدأت نفوسهم، وسار بشر على سيرة سلفه إسماعيل ومحمد بن يزيد في تعمير البلاد ونشر الدين والعلم وتعليم الناس، فأقبل أهل المغرب على المساجد والكتاتيب، وتخرج من بينهم الفقهاء والعلماء.

على أن الأمر الذين ينقم على هذا الوالي هو تتبع آل موسى بن نصير واستصفاء أموالهم وقتل الكثير منهم ومن مواليهم، إلا أنه لم يكن في ذلك إلا منفذا لتعاليم وأوامر الخليفة يزيد الذي توفي سنة 105هـ، وتولى بعده هشام الذي أقر بشرا على منصبه وأعاده إلى المغرب وظل به إلى سنة 109هـ، وهي السنة التي غزا فيها صقلية وأصاب منها سبيا كثيرا وتوفي بعد عودته منها في القيروان، واستخلف العباس بن باضعة الكلبي[2].

ولما وصل خبر وفاة بشر إلى الخليفة هشام بعث إلى المغرب عبيدة بن عبد الرحمن السلمي وكان قيسيا متعصبا اضطهد عمال بشر بن صفوان فسجنهم وعذبهم واستصفى أموالهم لأنهم كانوا من اليمنية حتى أنه سجن زعيمهم أبو الخطار بن ضرار الكلبي الذي كان قائدا جليلا ورئيسا شريفا في قومه، مع فصاحة وبيان، وقول حسن الشعر، وولى في إفريقية ولايات كثيرة في إمارة بشر بن صفوان وولي بعد ذلك إمارة الأندلس، فأرسل أبو الخطار إلى الخليفة كتابا فيه:

---

[1] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 37.

[2] ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص 49.

أفاءت بنو مروان قيسا دماءنا وفي الله إن لم يعدلوا حكم عدل

وقيناكم حر القنا بصدورنـــا وليس لكم خيل سوانا ولا رجــل

فبعث الخليفة إلى عبيدة بعزله سنة 115هـ وتولية عبيد الله بن الحبحاب مكانه[1].

كان عبيد الله بن الحبحاب عاملا على خراج مصر، فأبدى كفاءة في التسيير وتشدد في الجباية والخراج وأخْذ الجزية من النصارى، ولما قدم إفريقية سنة 116هـ سار على نفس السيرة فاجتهد في جمع الأموال لصالح الخلافة، واستمر في حملة الغزو البحري لضمان مورد دائم للخزينة، وبعث الجيوش إلى بلاد السوس وأرض السودان بقيادة أحد أحفاد عقبة بن نافع الفهري الذين قربهم إليه، وولى على طنجة وأحوازها ابنه إسماعيل، ثم أردفه بعمر بن عبيد الله المرادي الذي كان شديدا صارما مما أثار حفيظة أهل البلاد، فاشتكى الناس من العسف والجور، وبعثوا بشكواهم إلى الخليفة هشام مع وفد كان على رأسه ميسرة المطغري المكنى بالحقير الذي كان ينتحل مذهب الخوارج، لكن هذا الوفد لم يستقبل من طرف الخليفة وظل ينتظر على باب الخلافة حتى نفذت أقواتهم وصبرهم، فعادوا إلى بلادهم عازمين على تغيير أوضاعهم المزرية وتولي أمورهم بأنفسهم فأعلنوا الثورة، وساعدهم على إشعال لهيبها في أقصى بلاد المغرب، وقتل عاملي طنجة والسوس عدة عوامل منها بعد مركز القيروان، وانشغال ابن الحبحاب وتوزع قواته، وغياب أكثر رجاله في النشاط الثغري بصقلية[2].

مع توالي ثورات البربر فقد شغل باقي ولاة بلاد المغرب بالتصدي لها ولم يكن نشاط يذكر إلا مواجهة أهل المغرب في معارك متعددة، إذ أرسل خلفاء بني أمية عدة ولاة بعد ابن الحبحاب منهم كلثوم بن عياض القشيري، وحبيب بن أبي عبيدة الفهري ثم حنظلة بن صفوان إلى غاية تغلب بني العباس على الخلافة في المشرق سنة 132هـ، وبداية تأسيس أولى الدول المستقلة في بلاد المغرب.

[1] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 64.

[2] لقبال، المغرب الإسلامي، ص 157.

2-في الأندلس:

عرفت الفترة الأولى من الحكم الإسلامي في الأندلس بعصر الولاة، وكان يحكمها وال عرف بالأمير أو الوالي، وأطلق على هذه الفترة التاريخية فأصبحت تعرف بفترة عصر الولاة.

أما عن كيفية تعيين ولاة الأندلس فقد تولى حاكم إفريقية تعيينهم في أغلب الأحيان وكانوا تابعين لإدارته، وأحيانا أخرى تولت الخلافة الأموية تعيين هؤلاء الولاة مباشرة[1]، أو يعين أهل الأندلس من يلي أمرهم، ثم تأتي الموافقة من والي إفريقية أو من الخليفة نفسه على هذا الوالي. وقد بلغ عدد ولاة الأندلس في هذه الفترة منذ عودة موسى بن نصير إلى دمشق عشرين واليا تولوا حكم الأندلس طيلة اثنتين وأربعين سنة[2].

ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير(95-97هـ/713-715م):

حينما عاد موسى بن نصير إلى دمشق بدعوة من الخليفة، ومعه طارق بن زياد آثر أن يترك أحد أولاده على ولاية الأندلس، واختار له مدينة إشبيلية لتكون قاعدة حكمه، وترك معه حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع معينا له على إدارة شؤون البلاد[3]. بدأ عبد العزيز ولايته سنة (95هـ/713م) بإخضاع مناطق جنوب شرق الأندلس والتي لم يصل إليها أحد من المسلمين في فتوحات موسى وطارق، فابتدأ بفتح مدينة مالقة بعد أن سلمها حاكمها إلى المسلمين دون مقاومة[4]، وقد تركزت المقاومة الإسبانية خلال هذه الفترة في كورة تدمير ومدينتها أوريولة، والتي فتحت بعد

---

[1] ابن عذارى، البيان، ج2، ص 23 وما بعدها.

[2] أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408هـ/1988م، ج1، ص 298.

[3] مجهول، أخبار مجموعة، ص 19.

[4] مؤنس، فجر الأندلس، ص 112.

مفاوضات مع حاكمها "تدمير" صلحا ودخلها المسلمون في أواخر سنة 95هـ أو بداية سنة 96هـ[1]، وقد تزوج عبد العزيز من أرملة لوذريق الحاكم السابق للأندلس وهي التي بقيت على نصرانيتها وكانت تتمتع بجمال خارق وذكاء حاد، فملكت جوامع قلب عبد العزيز، مما جعل بعض المعارضين يدّعون أن واليهم قد تنصر واتبع زوجته، فنقموا عليه ذلك وكاتبوا بذلك الخليفة وأوغروا صدره وأنه قد تكلم بكلام ضده بعد سوء معاملة أبيه في المشرق ومقتل أخيه في المغرب، ثم عملوا على محاولة قتله، ونجحوا في ذلك إذ قتله حبيب بن أبي عبيدة وأيوب بن حبيب اللخمي وزياد بن النابغة التميمي سنة 97هـ وهو قائم يصلي الصبح[2]. وحمل رأسه إلى الخليفة سليمان بن عبد الملك في دمشق ووضع بين يدي أبيه موسى، وقد كان لعبد العزيز الدور البارز في إتمام الفتوحات في باقي بلاد الأندلس، وتثبيت دعائم الإسلام فيها.

ولاية أيوب بن حبيب اللخمي(97هـ/715م):

بعد مقتل عبد العزيز بن موسى بقيت الأندلس بدون وال لفترة طويلة، حتى اجتمع أهلها واختاروا أيوب بن حبيب لولاية أمر البلاد فبدأ عمله فيها بنقل العاصمة من إشبيلية إلى قرطبة لتوسطها بلاد الأندلس وقربها من منازل العرب[3]. وقد بنى أيوب قلعة حصينة جنوبي مدينة سرقسطة سميت باسمه فأصبحت تعرف بقلعة أيوب، وهي الآن مدينة كبيرة لا تزال تحمل نفس الاسم إلى أيامنا هذه مع تحريف في نطقه. وبعد فترة وجيزة لا تتجاوز الستة أشهر عزل أيوب من طرف والي إفريقية محمد بن يزيد القرشي وعين مكانه الحر بن عبد الرحمن الثقفي.

---

[1] ابن القوطية، المصدر السابق، ص 37.

[2] أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ/2004م، ج24، ص 55-56.

[3] مجهول، أخبار، ص 21.

ولاية الحر بن عبد الرحمن الثقفي(97-99هـ/715-717م):

تولى الحر بن عبد الرحمن ولاية الأندلس وهو على علم بأنه لن ينعم بالاستقرار الكامل فيها سواء من طرف الوالي المخلوع أو من طرف العرب الذين حملوا عصبياتهم ونزاعاتهم إلى بلاد الأندلس، لذلك اصطحب الوالي الجديد معه نخبة من وجوه العرب وإفريقية، وتعامل مع أهل البلاد والمعارضين بشدة وقسوة، ويذكر أنه سار إلى شمال الأندلس وفتح بعضا من حصونها واستولى على عدة مدن فيها، وقد دامت ولايته سنتين وأشهرا.

ولاية السمح بن مالك الخولاني (99-102هـ/717-720م):

كانت سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز تقضي بتولية أصحاب الكفاءة والصلاح مناصب السلطة في الولايات الإسلامية، فقد وقع الاختيار على إسماعيل بن عبيد الله لتولي أمر إفريقية، والسمح بن مالك الخولاني على ولاية الأندلس، بعدما لمس فيهما الورع والصلاح والأمانة عندما كانا ضمن الوفد الذي حمل أموال إفريقية إلى الخليفة سليمان، وإذا كان إسماعيل قد افتتح ولايته في إفريقية ببعث البعوث إلى أقاصي بلاد السودان وتعليم أهل البلاد أمور دينهم، فإن السمح بن مالك وبناء على أوامر الخليفة أخذ الناس بالرفق والعدل والرحمة، وبدأ بتخميس أرض الأندلس وتمييز ما فتح منها عنوة ليأخذ عليها الخمس أو ما فتح صلحا لتترك في أيدي أهلها، وبعد مدة لم يؤخذ الخمس إلا من مدينة قرطبة وخاصة الأرض التي تسمى ربض قرطبة، وأبقى بقية الأرض بيد أهلها[1]، وكان ذلك رفقا بالناس وتجنبا لفوضى قد يحدثها تخميس كل أرض الأندلس والتي استقر بها المسلمون وأخذ كل من وضع يده على بلاد يعمل بها ويستصلحها، وتوجسوا من أمر التخميس ربما سيأخذ هذه الأرض من أيديهم، لذلك فقد اتجه السمح بن مالك إلى تحويل اهتمام الناس إلى الجهاد، فجمع الجيوش وسار بهم إلى ما وراء جبال البرتات لتوسيع رقعة المسلمين ونشر الإسلام هناك، فاستعاد مدينة أربونة،

[1] ابن القوطية، المصدر السابق، ص 39.

وكانت مقابل بلاد الفرنجة في أقصى الشمال الأندلسي، وتصدى دوق أكيتانيا لجموع المسلمين في موقعة بالقرب من مدينة طولوشة، وانهزم فيها جيش المسلمين وقتل فيها الكثير منهم وعلى رأسهم القائد السمح بن مالك في يوم عرفة من سنة 102هـ/720م، وعاد عبد الرحمن الغافقي ببقية الجيش إلى قرطبة[1]، حيث عين واليا عليها لمدة أشهر فقط.

ولاية عنبسة بن سحيم الكلبي (102-107هـ/720-725م):

لما عين الخليفة يزيد بن عبد الملك بشر بن صفوان على ولاية إفريقية، بعث إلى الأندلس عنبسة بن سحيم الكلبي، وعزل عنها عبد الرحمن الغافقي، فوجد البلاد قد نازعتها الخلافات والعصبيات، فبدأ بتهدئة الأمور ومحاولة تنظيم الأمور، وكانت أفضل وسيلة لذلك هي شغل الناس بالجهاد ضد النصارى، فجمع الجموع وجندها، وسار إلى الشمال حيث جموع الفرنجة تتربص بالمدن الأندلسية، وكان في طريقه يؤمن المدن ويضع الحاميات على طول الطريق، فأبرم معاهدة مع أهل قرقشونة، التزم فيها أهل بدفع الجزية وإطلاق الأسرى ومناصرة المسلمين[2]. وبعد هذا الصلح استمر عنبسة في السير نحو المدن الأخرى لكن أنباء عن بعض النزاعات في بلاده اضطرته إلى الرجوع عن عزمه والعودة سريعا حيث كمنت له فرقة من جيش الفرنجة، استشهد عنبسة على إثر مواجهة شديدة معها سنة 107هـ، وعاد عذرة بن عبد الله الفهري بالجيش إلى أربونة[3].

بعد استشهاد عنبسة وتولي عذرة بن عبد الله أمر الأندلس لمدة شهرين بعث والي إفريقية عبيدة بن عبد الرحمن السلمي إلى الأندلس عثمان بن أبي نسعة الخثعمي فكانت ولايته لأشهر فقط،

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 152. ذو النون طه عبد الواحد، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ب،ط، 1982م، ص 339.

[2] مؤنس، فجر الأندلس، ص 246.

[3] ابن عذارى، البيان، ج2، ص 27.

وولي بعده حذيفة بن الأحوص الأشجعي سنة 110هـ/728م، ثم الهيثم بن عبيد الكناني سنة 111هـ، ولم تذكر لهؤلاء الولاة المتعاقبين أعمال كبيرة لأن أغلبهم لم يبق في منصبه إلا بضعة أشهر، إلا ما كان من الهيثم الذي ينسب إليه غزو أرض منوسة أو مقوشة في شمال البلاد وفتحها[1]. وقد بقي الهيثم في ولايته قريبا من عامين وتوفي سنة 113هـ.

وخلف الهيثمي وال آخر هو محمد بن عبد الله الأشجعي وذلك باختيار من أهل الأندلس لمدة شهرين فقط، وبتعيين من عبيدة بن عبد الرحمن السلمي والي إفريقية أعطي منصب الولاية في الأندلس لمجاهد عرفته ميادين الأندلس بالشجاعة والقوة والحزم وهو عبد الرحمن الغافقي.

ولاية عبد الرحمن الغافقي (113-114هـ/731-732م):

وهو الذي نجا بالجيش في موقعة طولوشة سنة 102هـ وتولى أمر الأندلس في فترة انتقالية حرجة قبل تعيين والي من قبل السلطة الحاكمة في إفريقية، وبعد توليه الحكم للمرة الثانية حرص على نزع فتيل العصبيات والنزاعات القبلية التي انتشرت في البلاد، فأشغلت الناس عن إعمار الأندلس، ومواصلة حركة الفتوح، فلما اطمأن العامة وزالت كثير من الخلافات التي كانت تنخر جسد الأمة في الأندلس، جمع الغافقي جنوده لمتابعة مسيرة الجهاد والفتح، وبعث أحد جنوده إلى بلاد منوسة التي تقول المصادر أنها تقع جنوب فرنسا الحالية، لكن هذا الذي بُعث تحالف مع دوق أكيتانيا، فما كان من الغافقي إلا أن سار إليه بنفسه وقتله وبعث بزوجته إلى مقر الخلافة في دمشق[2]، وبعدما سمع دوق أكيتانيا بهذه الحملة تحالف مع شارل مارتل (المطرقة) ملك الفرنجة واستقر رأيهما على مواجهة المسلمين، لكن عبد الرحمن الغافقي فاجأ دوق أكيتانيا وهزمه وفتح مدينة برديل الواقعة في أقاصي

[1] المقري، المصدر السابق، ج1، ص 119.

[2] عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول من الفتح إلى بداية عهد الناصر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1417هـ/1997م، ص 88.

شمال الأندلس، وتحرك الجيش باتجاه بلاد غالة (فرنسا الحالية)، حتى وصل إلى السهل الواقع بين مدينتي تور وبواتييه على مقربة من مجينة باريس الحالية، وهناك واجهوا تجمعا ضخما لقوات شارل مارتل الذي استطاع أن يحشد الفرنجة من كل البلاد المجاورة لمقاتلة المسلمين، والتقى الجيشان في رمضان من سنة (114هـ/732م)، كانت نتيجة المعركة في الأول لصالح المسلمين، لكن شارل مارتل فاجأهم بضرب مؤخرة الجيش أين يوجد النساء والأطفال وتتجمع الغنائم، وبذلك استطاع خلخلة نظام الجيش الإسلامي الذي هب عن الدفاع عن حرماته وممتلكاته، وهنا انتهز الفرنجة الفرصة فأوقعوا بالمسلمين بين شقي الرحى، وقتلوا الكثير منهم وعلى رأسهم قائدهم عبد الرحمن الغافقي، وانسحب الباقون تحت جنح الظلام، وسميت هذه المعركة في التاريخ الإسلامي بمعركة بلاط الشهداء بسبب قربها من الطريق الروماني المرصوف ولكثرة من استشهد فيها من المسلمين[1]، وعرفت في المصادر الغربية بمعركة تور-بواتييه[2].

وتعد هذه المعركة خاتمة معارك المسلمين في بلاد غالة إذ لم يستطيعوا بعدها أن يتجاوزوا جبال البرتات، أما بالنسبة للفرنجة فقد أعطتهم دفعة قوية وتحمسا للدفاع عن بلادهم وخلصتهم من خطر العرب الذي كان يمكن أن يسيطر على كل أوربا لو قدر له النصر في تلك الواقعة حتى أنهم تشجعوا لمواجهة المسلمين في بلاد الأندلس، وذاع صيت شارل الذي لقب منذ ذلك بمارتل أي المطرقة لأنه كان يسد كل الثغور في جيشه ولأنه اعتمد أسلوب ضرب المسلمين من المؤخرة والمقدمة في آن واحد كضرب المطرقة.

---

[1] إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج1، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط14، 1416هـ/1996م، ص 261.

[2] شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1352هـ، ص 102.

بعد فاجعة بلاط الشهداء عَيّن عبيدة بن عبد الرحمن السلمي أو عبيد الله بن الحبحاب واليا آخر على الأندلس هو عبد الملك بن قطن الفهري فدخلها سنة 115هـ، وفي هذه الأثناء كان النصارى المزهوون بانتصارهم على جيش المسلمين في موقعة بلاط الشهداء يحاولون استرداد مدنهم في الشمال الأندلسي، فخرج بن قطن للتصدي لهم وتحصين الثغور، لكن جيشه كان صغيرا مما أوقع به هزيمة في طريق عودته دون أن يتمكن من بلوغ مرامه، وعاد إلى قرطبة وتم عزله بعد فترة يسيرة من توليه هذا المنصب[1].

ولاية عقبة بن الحجاج السلولي (116-122هـ/734-740م)

عين على رأس الأندلس سنة 116هـ عقبة بن الحجاج فبدأ بتنظيم البلاد ماليا وإداريا، وحاسب عماله، وقاد الحملات شمال الأندلس وفتح المدن والأقاليم واستطاع أن يدخل أفواجا في دين الله، ولم يترك من بلاد الأندلس إلا المنطقة التي تعرف بصخرة بلاي من بلاد جليقية في الشمال، والتي انطلقت منها فيما بعد حركة الاسترداد المسيحي[2]. واستمر عقبة واليا على الأندلس إلى غاية سنة 122هـ أين خُلع أو تنازل عن الحكم لعبد الملك بن قطن، حيث استغل البربر حالة اللاستقرار وثورات البربر في بلاد المغرب للقيام بثورتهم هم كذلك وأخذوا الحكم لأنفسهم، وبقي عبد الملك بن قطن في ولايته مدة قصيرة لا تتجاوز العامين وقام ببعض الأعمال لجهاد نصارى الشمال، وانشغل من جاء بعده بالخلافات والصراعات الداخلية التي زادت من هوة الخلاف بين المسلمين وشغلتهم عن إصلاح البلاد أو فتح مناطق أخرى في أوربا، بل وشجعت النصارى على استرداد بعض المدن والمناطق التي أخذت منهم سابقا.

[1] سيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار المعارف، 1382هـ/1962م، ص 146.

[2] ذو النون طه، الفتح، ص 340.

ومن آخر ولاة بلاد الأندلس نجد بلج بن بشر القشيري وثعلبة بن سلامة العاملي وأبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي وثوابة بن سلامة الجذامي وعبد الرحمن بن كثير اللخمي، وكل هؤلاء لم يثبتوا في مناصبهم إلا قليلا من الزمن لا يتجاوز السنة غير أبي الخطار فإنه بلغ ثلاث سنين،

ولاية يوسف الفهري (129-138هـ/747-756م)

ثم ولي يوسف بن عبد الرحمن الفهري سنة 129هـ، واستمرت ولايته إلى غاية دخول عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الأموي سنة 138هـ، وكانت الأندلس قد شهدت في هذه السنوات خلافات ونزاعات وقتلا بين أهلها لأجل عصبياتهم وابتغاء المناصب والأموال حتى تشجع النصارى في الشمال على قتالهم وأخذ المدن والحصون منهم، والمسلمون غارقون في عصبياتهم لا همّ لهم سوى قتل بعضهم البعض وانتشر الفقر والجوع سنوات وضعف الناس، فلما سقطت الدولة الأموية في دمشق سنة 132هـ، وهرب عبد الرحمن بن معاوية إلى المغرب، ثم أرسل رسله إلى بني أمية واليمنيين في الأندلس، واجتمعوا على نصرته، سارع إليهم وجمع أنصاره وقاتل بهم يوسف الفهري وأصحابه، حتى انتهى منهم واستقام له أمر البلاد، وكان عهده بداية حكم الدولة الأموية بالأندلس ونهاية لعصر الولاة الذي دام أكثر من ثلاثين سنة.

المحور الثالث:الدعوات السياسية والحركات المذهبية

ظهرت في بلاد المغرب الإسلامي دعوات سياسية وحركات مذهبية منذ استقرار أمر الفتح، ولعل أشهر هذه الحركات التي خلطت بين الدعوة لمذهبها ومحاولة الاستيلاء على السلطة السياسية هي حركة الخوارج، وسنعرض هنا لبعض التفصيل عن هذه الحركة وأهم روادها، أسباب قدومها إلى بلاد المغرب والنتائج التي حققتها.

1-الخوارج نشأتهم وأصول حركتهم:

هذه التسمية لم يطلقها أصحابها على أنفسهم بل سماهم بها خصومهم، لذلك نجد الإباضيين في بلاد المغرب يستنكرون إطلاق هذه التسمية عليهم، وتعود بداية ظهور المذهب الخارجي إلى عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبالتحديد أثناء وقعة صفين، حين رفضت فئة من المتقاتلين نتيجة التحكيم، فخرجوا عن صف علي، وفارقوا صفوف أنصاره، معلنين العصيان، ثم دعوا الناس إلى خلعه هو ومعاوية معا، فاعتبرهم أهل السنة خارجين عن الصف وأسموهم الخوارج.

وقد افترقت الخوارج على أكثر من عشرين فرقة أبرزها: الأزارقة والنجدات والصفرية والعجاردة والإباضية والصفرية. ومن أبرز أصول هذه الحركة أن الإمامة ليست حكرا على قريش، وإنما اشترطوا فيها الإسلام والعدل فقط، وأن اختيار الإمام يكون بانتخاب حر صريح، وأنه يبقى في منصبه مادام يطبق شرع الله، فإن انحرف أو أخطا وجب عزله وقتله[1].

وحينما ظهرت فرق الخوارج بالمشرق لاحقها الخلفاء ابتداء من رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب الذي التقى بهم في معركتي النهروان والنخيلة ورد الكثير منهم إلى جادة الصواب بالإقناع

[1] محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 61.

والحجة، قبل أن يقتل الآلاف منهم[1]، ثم بدأ الخلفاء الأمويون بملاحقتهم وإرسال أبرز القادة العسكريين لمحاربتهم، وكان أشدهم عليهم المهلب بن أبي صفرة الذي استطاع الإيقاع بالكثير منهم زيادة على أنه شتت شملهم وفرقهم طوائف وجماعات وذلك بإثارة الخلافات العقدية بينهم[2]، ولمّا لم يستطع الخوارج نشر مذهبهم وتحقيق أهدافهم في بلاد المشرق، بحثوا عن متنفس لهم، فوجدوا في بلاد المغرب الأرض الخصبة لنشر عقائدهم وخاصة أن أهل المغرب حديثو عهد بإسلام ونظرا لتسلط ولاة الأمويين عليهم. ولذلك خفف الخوارج من تشددهم وامتحاناتهم لمعتنقي مذهبهم وبدأوا بإرسال دعاتهم إلى بلاد المغرب، ونجحوا فيها فيما لم ينجحوا في غيرها.

أسباب فشل دعوة الخوارج في بلاد المشرق:

-تطرف عقائدهم: ذلك أنهم اتبعوا أسلوب التكفير لكل من خالفهم واستحلال أموالهم ونسائهم وأولادهم، ورمي كبار الصحابة بالكفر وعلى رأسهم عثمان وعلي، كما أنهم كانوا يقولون بتكفير مرتكب الكبيرة، وجواز الإمامة لكل مسلم عالم بالكتاب والسنة[3].

-قصور فكرهم السياسي: حيث أن أنهم أغفلوا التنظيم والدعوة في تسيير أمر حركتهم فغابت لذلك عن قيادتهم أي زعامة معروفة أو مشهود لها بين الناس، فكانوا يختارون من بينهم أي واحد لتسلم زمام قيادتهم، واتبعوا أساليب قاسية وامتحانات عسيرة لأتباعهم الجدد، كما أنه كانت تظهر في كل مرة بينهم خلافات متكررة تؤدي إلى انشقاقات وعصيان، خاصة عند لقاء مخالفيهم.

---

[1] محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، 1971م، ج5، ص 72 وما بعدها.

[2] عن أمثلة من هذه الخلافات انظر، أبو زهرة، المرجع السابق، ص 63، 64.

[3] الحسن بن موسى النوبختي وسعد بن عبد الله القمي، فرق الشيعة، تح عبد المنعم حنفي، دار الرشد للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م، ص 23.

-مواجهة السلطة لهم بالحزم واليقظة: حيث تصدى لهم علي بن أبي طالب وكثير من الخلفاء الأمويين والعباسيين وأبادوا أكثر طوائفهم.

2-ظهور الصفرية والإباضية في بلاد المغرب:

2-1-الإباضية:

الإباضية هي إحدى فرق الخوارج، وتنسب إلى مؤسسها عبد الله بن إباض التميمي، ويدعي أصحابها أنهم ليسوا خوارج وينفون عن أنفسهم هذه النسبة، والحقيقة أنهم ليسوا من غلاة الخوارج كالأزارقة مثلاً، لكنهم يتفقون مع الخوارج في مسائل عديدة منها: أن عبد الله بن إباض يعتبر نفسه امتداداً للمحكمة الأولى من الخوارج، كما يتفقون مع الخوارج في تعطيل الصفات والقول بخلق القرآن وتجويز الخروج على أئمة الجور.

ومن أبرز شخصيات المذهب الإباضي:

· مؤسسها الأول عبد الله بن إباض من بني مرة بن عبيد بن تميم، ويرجع نسبه إلى إباض وهي قرية العارض باليمامة، وعبد الله عاصر معاوية وتوفي في أواخر أيام عبد الملك بن مروان.

·كما يذكر الإباضية أن أبرز شخصياتهم جابر بن زيد (22-93هـ) الذي يعد من أوائل المشتغلين بتدوين الحديث آخذاً العلم عن عبد الله بن عباس وعائشة و أنس بن مالك وعبد الله بن عمر وغيرهم من كبار الصحابة. مع أن جابراً قد تبرأ منهم[1].

· أبو عبيدة مسلمة بن أبي كريمة: من أشهر تلاميذ جابر بن زيد، وقد أصبح مرجع الإباضية بعده مشتهراً بلقب القفاف توفي في ولاية أبي جعفر المنصور 158هـ.

[1] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج1، تح: إبراهيم الزيبق، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1416هـ/1996م، ص 279.

· الربيع بن حبيب الفراهيدي الذي عاش في منتصف القرن الثاني للهجرة وينسبون له مسنداً خاصاً به مسند الربيع بن حبيب وهو مطبوع ومتداول.

· ومن أئمتهم في المغرب الإسلامي: الإمام الحارث بن تليد، ثم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، ثم أبو حاتم يعقوب بن حبيب ثم حاتم الملزوزي.

· ومنهم الأئمة الذين تعاقبوا على الدولة الرستمية في تاهرت: عبد الرحمن، عبد الوهاب، أفلح، أبو بكر، أبو اليقظان، أبو حاتم.

· من علمائهم:

سلمة بن سعد: قام بنشر مذهبهم في أفريقيا في أوائل القرن الثاني.

ـ ابن مقطير الجناوني: تلقى علومه في البصرة وعاد إلى موطنه في جبل نفوسه بليبيا ليُسهم في نشر المذهب الإباضي.

ـ عبد الجبار بن قيس المرادي: كان قاضياً أيام إمامهم الحارث بن تليد.

ـ السمح أبو طالب: من علمائهم في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، كان وزيراً للإمام عبد الوهاب بن رستم ثم عاملاً له على جبل نفوسه ونواحيه بليبيا.

ـ أبو ذر أبان بن وسيم: من علمائهم في النصف الأول من القرن الثالث للهجرة، وكان عاملاً للإمام أفلح بن عبد الوهاب على حيز طرابلس.

وصول المذهب الإباضي إلى بلاد المغرب:

بعد أن تأكد لأبي عبيدة أن قيام الدولة العادلة أمر صعب تحت رقابة الأمويين الصارمة بدأ في إرسال دعاته إلى المناطق النائية ووقع اختيار أبي عبيدة على سلمة بن سعيد للتوجه إلى المغرب في أول القرن الثاني للهجرة[1]، وكانت المغرب أرضاً صالحة للدعوة ضد الأمويين فوجد سلمة تشجيعاً لم يتوقعه خاصة وأن البربر وجدوا في دعوة الإباضية المساواة التي حرمهم منها الأمويون فقام سلمة بنشاط كبير بين قبيلتي هوارة ونفوسة وتأكد بأن ما يحلم به شيخه يمكن تحقيقه في المغرب فكان يقول " وددت لو يظهر هذا الأمر يوما واحدا من أول النهار إلى آخره فما أبالي أن تضرب عنقي "[2].

بدأت تحركات الاباضية منذ عام 127هـ (744م)، في جبل نفوسة ومدينة طرابلس، واستطاعوا السيطرة على المدينة سنة 131هـ، لكن الوالي الأموي عبد الرحمن بن حبيب استطاع أن يشتت جمعهم بإدخال الفتنة بينهم وقتل قادتهم، بعد أن هزموه ثلاث مرات متوالية[3].

بعد هذا رأى سلمة بن سعيد أنه يجب التركيز أكثر على الجانب الدعوي وتوسيع قاعدة الدعوة، وذلك باختيار من يتوسم فيهم النجابة وملامح القيادة وإرسالهم للتزود بالعلم في بلاد المشرق فأرسل عبد الرحمن بن رستم، وعاصم السدراتي، وأبو داود القبلي النفزاوي وإسماعيل بن ضرار الغدامسي، وانضم إليهم بعد ذلك أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني، وتوجهوا إلى البصرة عند زعيم الإباضية آنذاك أبو عبيدة مسلمة بن أبي كريمة وسموا فيما بعد "حملة العلم"[4]41)، وتلقوا في البصرة مبادئ المذهب على يد إمامهم مدة تقرب من خمس سنوات، إلى أن أحسوا بالقدرة

---

[1] الدرجيني ، طبقات المشائخ بالمغرب ، تحقيق ابراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسطنطينة، ج1، ص11.

[2] المرجع نفسه، ص ن .

[3] سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، دار المعارف، القاهرة، ص 90.

[4] دبوز، المرجع السابق، ص 189-195.

على تبليغ دعوتهم، سرحهم الإمام فوصلوا إلى طرابلس سنة 140هـ، وجعلوها نقطة انطلاق لنشر مذهبهم، واجتمع إليهم أنصارهم وبايعوا أبا الخطاب بالإمامة، واستطاع بعد ذلك أن يسيطر على طرابلس وأنحاء من جبل نفوسة[1].

بعد ذلك استطاع أبو الخطاب من قيادة جيشه إلى إفريقية ودخول قابس ثم القيروان التي كان الصفرية قد سيطروا عليها منذ وقت قريب واستحلوا فيها المحارم وقتّلوا وربطوا دوابهم بالمسجد الجامع[2]، لكن ابن الخطاب أمّن الناس والتزم بحدود الشرع في معاملة أهل المدينة، ومن هنا بدأت توسعات الإباضيين نحو الغرب والجنوب، لكن الخلافة العباسية أحست بالخطر الذي يتهدد سلطتها فسارع واليها على مصر محمد ابن الأشعث إلى إرسال جيشين لقتال الإباضية، إلا أن الهزيمة كانت من نصيب جيشي ابن الأشعث في كلتا المرتين، وهنا عزم ابن الأشعث على السير بنفسه وعبأ جيشا بلغ تعداده خمسين ألفا مواجها لجيش يبلغ مائتي ألف مقاتل من الإباضيين، وهنا بدأت الحيلة تعمل فقد تظاهر ابن الأشعث بالرجوع إلى مصر لإعداد جيشه لهذه المواجهة، بالإضافة إلى تنازع قبيلتي هوارة وزناتة من جانب جيش ابن الخطاب، فاستغل ابن الأشعث هذا الموقف وانقض على خصمه وأوقع به هزيمة عظيمة قتل على إثرها أكثر جيشه وأبرز قادته وفيهم ابن الخطاب الذي أرسل رأسه إلى بغداد، ثم هزم ابن الأشعث تجمعا آخر للإباضيين بقيادة أبي هريرة الزناتي[3]. وانسحبت جموع الإباضيين إلى زويلة وفزان وتأسست هنالك إمارة مستقلة تزعمتها أسرة بني الخطاب ولم تستطع الخلافة العباسية القضاء عليها نهائيا حتى جاء عصر المماليك وانتهى ذكر هذه الإمارة[4].

---

[1] الدرجيني، طبقات، ج1، ص 23.

[2] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 81.

[3] ابن الأثير، المرجع السابق، ج4، ص 504.

[4] ابن خلدون، كتاب العبر، ج5، ص 335.

أما في إفريقية فإن القائد الجديد للإباضيين عبد الرحمن بن رستم الذي كان بالقيروان اضطر للنزوح إلى المغرب الأوسط واجتمعت إليه قبائل لماية ولواتة ورجالة ونفزاوة فنزل بها، وشرع في بناء مدينة تاهرت عند وادي مينة وعلى سفح جبل جزول بعد مبايعة البربر له بالإمامة.[1]

وبعد مهارك بين الإباضيين وحلفائهم الصفريين من جهة وولاة الخلافة العباسية من جهة ثانية لم يستطع الإباضيون السيطرة على مركز إفريقية مدينة القيروان ولا طرابلس فقنعوا بما حققوه من مكاسب في جبل نفوسة وجزء من المغرب الأوسط فأعلنوا قيام دولتهم سنة 160هـ، إذ لم تجاوز حدودها الغربية واد شلف وسيطرت على مناطق واسعة من المغرب الأوسط وجنوبا حتى منطقة فزان، وتحسنت العلاقات بينها وبين الصفريين الذين أسسوا دولتهم بسجلماسة. واستمرت دولة الرستميين تحكم هذه المناطق وتدافع عنها حتى قضى عليها الفاطميون سنة (296هـ/908م)[2].

2-2-الصفرية:

إلى جانب المذهب الإباضي كان المذهب الصفري قد انتشر في داخل المغرب وسرعان ما أصبح أتباع الفريقين من القوى المعارضة الواضحة الهامة في المغرب منذ العقد الثاني من القرن الثاني الهجري، وقادت فرقة الصفرية الثورة الكبرى التي انطلقت من طنجة عام122هـ (739م)[3].

والصفرية هي من فرق الخوارج المتطرفة إلا أنها أقل تطرفا من الأزارقة، وأشد من غيرهم خاصة الإباضية، والقول الراجح في تسميتهم أنهم أتباع زياد بن الأصفر[4]، وقد نشأت هذه الفرقة في بلاد

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص 146.

[2] ابن عذارى، البيان، ج1، ص 153

[3] ابن خلدون ، العبر، ج6، ص 171.

[4] محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق: أمير علي مهنا، علي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ/1993م، ج1، ص 159.

المشرق على عهد يزيد بن معاوية، وكان زعيمها هو أبو بلال مرداس الذي خرج على الخليفة يزيد بالبصرة لكنه لم يقاتل أو يدعُ إلى حرب، فأرسل إليه عبيد الله بن زياد والي العراق من قتله[1]. أما في بلاد المغرب فإن أول من أدخل هذا المذهب هو عكرمة مولى عبد الله بن عباس والذي أخذ عنه علما جليلا وقد جاء هو وسلمة بن سعيد الذي ذكرناه في الدعوة الإباضية على رحلة واحدة ودخلا مع بعض إلى القيروان وكل منهما يدعو إلى مذهبه، وبدأ عكرمة جهوده في تبليغ مبادئ المذهب الصفري، ومن بين من تلقى على يديه العلم وأصول المذهب "سمغون (سمكو) بن واسول المكناسي" زعيم قبيلة مكناسة[2]، وإن كانت بعض الروايات تقول أنه قد التقى به في المدينة[3]، فتعلم منه ونقل علمه إلى قبيلته، وثانيهما هو "ميسرة المطغري" الذي يكنى بالحقير أو الفقير ويلقب بالسقاء لأنه كان يعمل في سقاية الماء بالقيروان، إلى جانب اتصاله بعكرمة وتعلمه منه، وقد تصدى ميسرة لنشر المذهب الصفري في أنحاء المغرب بعد موت عكرمة فقابل رؤساء القبائل ورغبهم في الدخول في أمره، فاجتمعوا إليه، ونظرا لأن ولاة الأمويين قد جاروا على رعيتهم وحملوهم أكثر من طاقتهم فإن هؤلاء اجتمعوا وأوفدوا جماعة منهم يرأسهم "ميسرة" إلى عاصمة الخلافة في دمشق ليبثوا شكواهم إلى الخليفة، ويستطلعوا بينة الأمر، هل ما يقوم به الولاة من عسف وجور هو من أمر الخلفاء أم لا، فلما لم حيل بينهم وبين الاتصال بالخليفة هشام[4]، رجعوا إلى بلادهم وقد عقدوا العزم على تغيير هذا الواقع، فولّوا على أمرهم "ميسرة" وبايعوه بالإمامة[5]، وبدأت حركتهم الثورية سنة 122هـ، إذ زحفوا في جموع كثيرة إلى طنجة وأوقعوا بواليها عمرو بن عبيد الله المرادي، ثم انتقلوا إلى السوس وقتلوا

---

[1] أبو زهرة، المرجع السابق، ص 72

[2] البكري، المغرب ، ص 149.

[3] ابن خلدون، العبر، ج6، ص 172.

[4] الطبري، المصدر السابق، ج4، ص 224.

[5] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج1، ص 293.

إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب، ودان المغرب الأقصى للصفريين، واتبع كثير من البربر هذا المذهب[1]، وبدأت المواجهة العسكرية بين الصفريين وجنود الخلافة الأموية، وجرت بينهما معارك من أبرزها موقعة الأشراف التي قتل فيها كثير من أشراف العرب وكانت بنواحي طنجة سنة 123هـ، وفيها عزل البربر ميسرة وقتلوه لأمور نقموها عليه، وولوا مكانه خالد بن حميد الزناتي، ثم بعث إليهم هشام بن عبد الملك جيشا كبيرا بلغ تعداده ثلاثين ألفا وولى عليه وعلى أمر إفريقية كلثوم بن عياض القشيري، والتقى الفريقان عند نهر سبو في مكان يقال له بقدورة واستبسل البربر في القتال، مقابل تنازع العرب بينهم، وأسفرت المعركة عن هزيمة جيش الخلافة هزيمة منكرة، ورجوعه في ثلث مقتول وثلث مأسور، وثلث مهزوم[2]، واستمر تقدم الصفرية إلى المغرب الأوسط وكان هدفهم الوصول إلى عاصمة إفريقية مدينة القيروان فأخذوا نواحيها ودانت لهم وشددوا الحصار عليها وجمعوا ما يفوق ثلاثمائة ألف مقاتل، لكن فلولهم منيت بالهزيمة سنة 125هـ على يد عامل إفريقية حنظلة بن صفوان في معركتي القرن والأصنام[3]، وتراجعوا عن البلاد إلى حين، ثم عاودوا الكرة بقيادة عاصم بن جميل زعيم قبيلة ورفجومة يؤيده من البربر عبد الملك بن أبي الجعد ويزيد بن سكوم فدخلوا القيروان سنة 139هـ/756م، واستباحو فيها الحرمات وقتلوا خلقا كثيرا وربطوا دوابهم بالمسجد الجامع، واستغاث الناس بأبي الخطاب الإباضي فخلصهم منهم على ما ذكرناه سابقا في موضوع الإباضية، وبعد هذا انسحب الصفريون إلى جوانب بلاد المغرب وظلوا يغيرون ويشاركون الإباضية في حرب ولاة المغرب حتى قضى عليهم الوالي العباسي يزيد بن حاتم وابنه سنة 157هـ.

[1] ابن عذارى، البيان، ج1، ص 52.

[2] مجهول، أخبار مجموعة، ص 40.

[3] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 69-70.

كما تمكن "أبو قرة" اليفرني من تأسيس إمارة مستقلة في تلمسان تدين بالمذهب الصفري جمعت إليها البربر وأصبحت قوة معدودة شاركت في الحروب التي خاضها الصفريون ضد ولاة الخلافة الأموية، لكنها لم تعمر طويلا.

وأبرز ما استطاعت الصفرية تحقيقه في بلاد المغرب هو تأسيس دولة بني مدرار بسجلماسة سنة 140هـ، تزعم بدايتها سمكو بن واسول رئيس مكناسة المذكور سابقا والذي حمل الناس بعد بناء مدينة سجلماسة على تقديم عيسى بن يزيد الأسود ومبايعته، ولما رأوا منه استبداد بالأمر عزلوه وعذبوه، ووضعوا مكانه سمكو بن واسول فلم يزل الأمر في ذريته إلى أن سقطت الدولة المدرارية على يد الفاطميين الشيعة سنة 296هـ[1].

كما اعتنقت قبيلة برغواطة المذهب الخارجي على يد زعيمهم طريف ابن شمعون الذي أخذ المذهب عن عكرمة في القيروان، وكان من قواد ميسرة المطغري، فلما عزل ميسرة ظل طريف على مذهبه بتامسنا، ويقال أنه تنبأ وشرع لقومه شرائع جديدة ثم خلفه ابنه صالح الذي كان خارجا عن الدين بالكلية فقد ادعى النبوة وأنه صالح المؤمنين المذكور في القرآن، وشرع لهم الديانات وادعى أن الوحي ينزل عليه بسور تماثل سور القرآن الكريم، وبقي مذهبهم إلى غاية وصول المرابطين في القرن الخامس هجري والقضاء عليهم وعلى ديانتهم الخسيسة نهائيا.[2]

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص79.

[2] ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص 130.

أسباب نجاح الخوارج في بلاد المغرب:

-اعتماد ولاة المغرب على العصبية، وجور بعضهم في تعاملهم مع البربر.

-تذمر البربر من سياسة الولاة الجائرة، وتطلعهم إلى الاستقلال والتحرر من التبعية.

-اعتماد الخوارج على عصبية تؤازرها، فالإباضية اعتمدت على لواتة ونفزاوة ونفوسة والصفرية اعتمدت في بادئ الأمر على مطغرة وزناتة، ثم على مكناسة.

-تنظيم الخوارج لصفوفهم، واتباعهم لمبدأ السرية، وتسخيرهم للعلم والدعوة، والتقليل من تشددهم.

-بعد المغرب عن يد الخلفاء في المشرق.

-دخول الدولة الأموية في مرحلة الضعف ثم الانهيار، ثم مرحلة التأسيس للعباسيين.

نتائج حركة الخوارج في بلاد المغرب:

-تقسيم المغرب الإسلامي إلى دويلات مستقلة[1]، كل لها مذهبها الخاص.

-انتشار مذاهب الخوارج وإقامة دولتين تدينان بالمذهب الخارجي.

-الاستقرار النسبي بعد فتنة وحروب دامت قرابة نصف قرن.

-تعبير البربر عن روح القومية والاستقلال التي لم ينعموا بها منذ عهود طويلة.

[1] عن تقسيم هذه الدول وحدودها، انظر الملحق رقم 05.

الملاحق

الملحق رقم 01

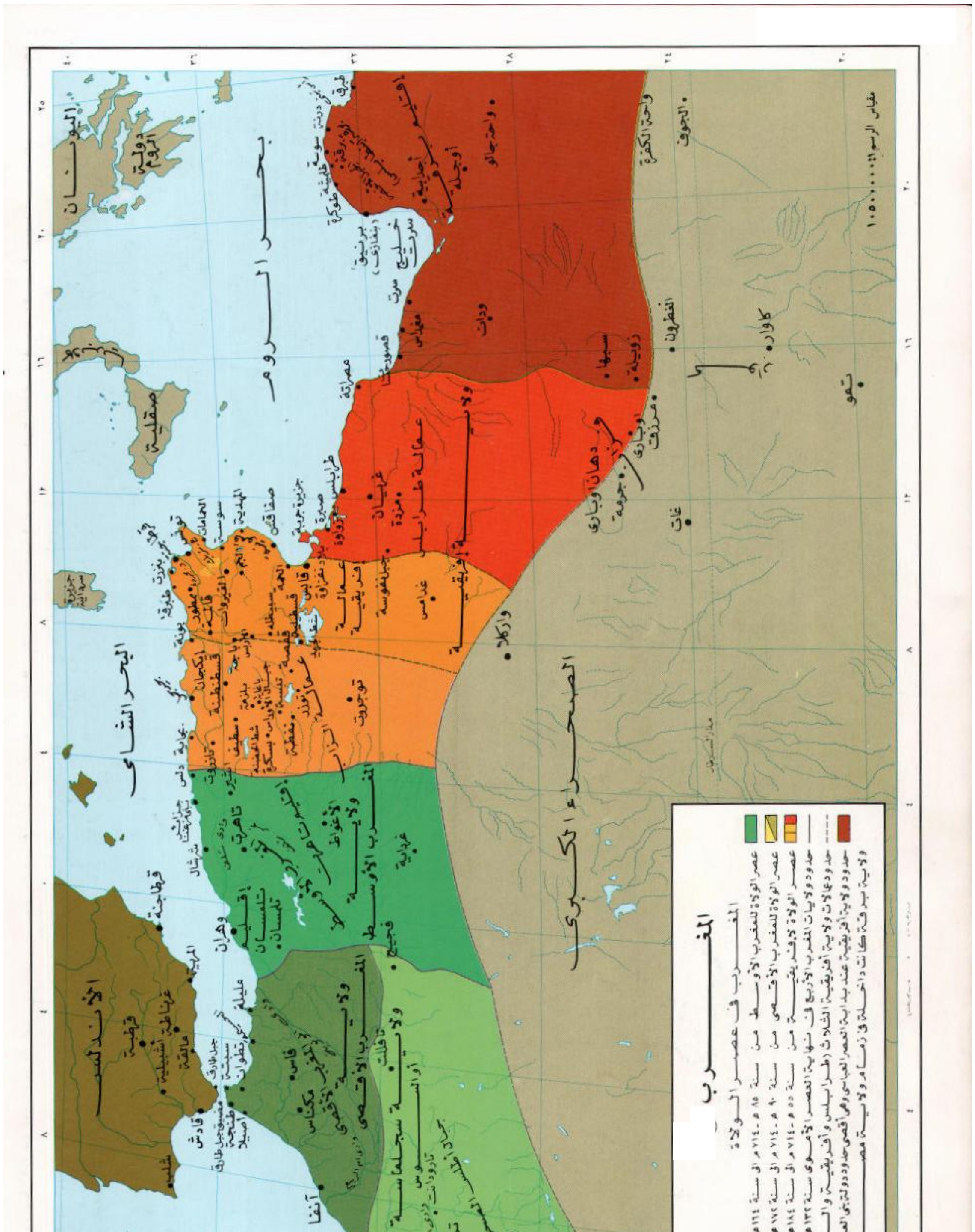

الملحق رقم 02

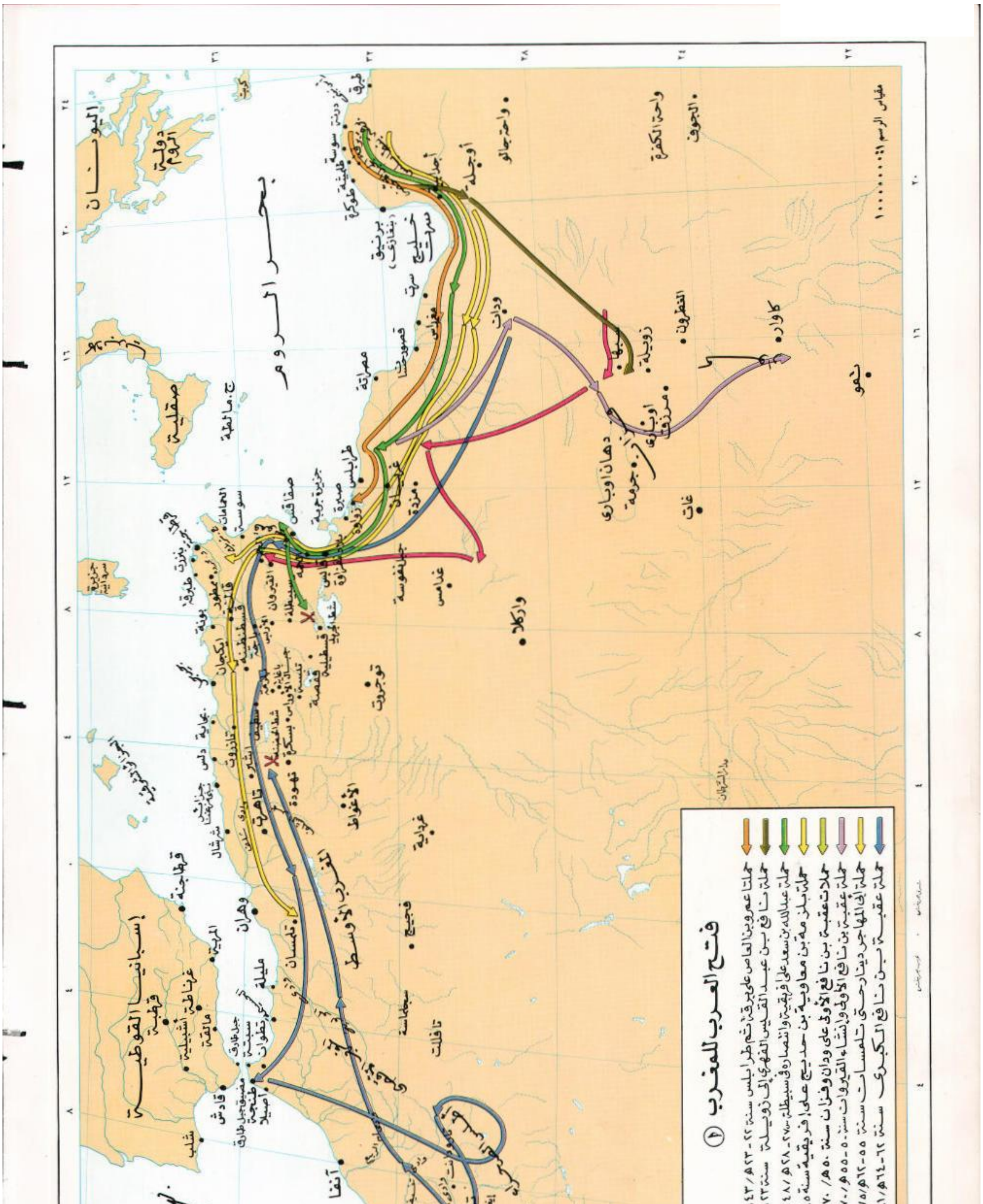

الملحق رقم 03

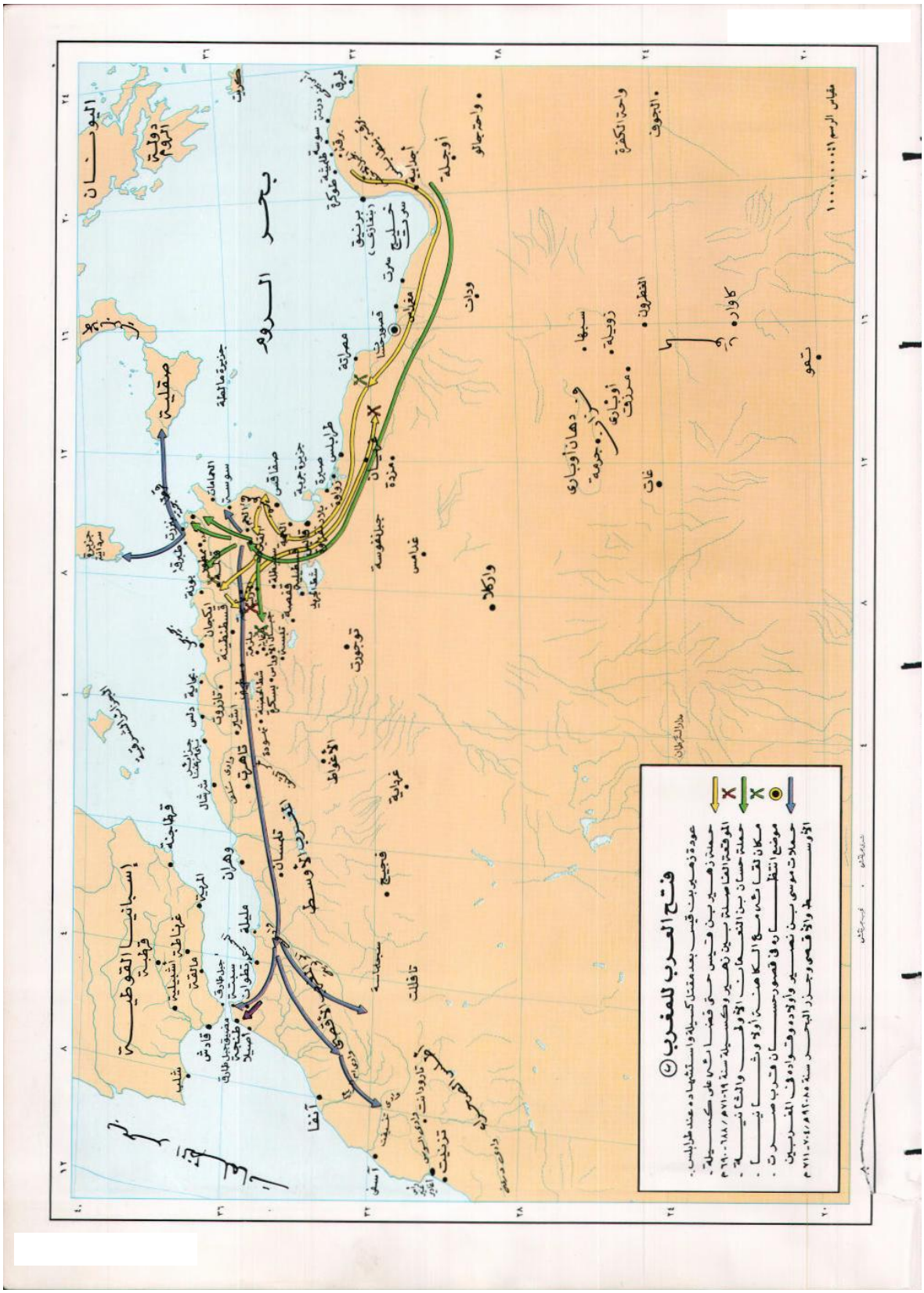

الملحق رقم 04

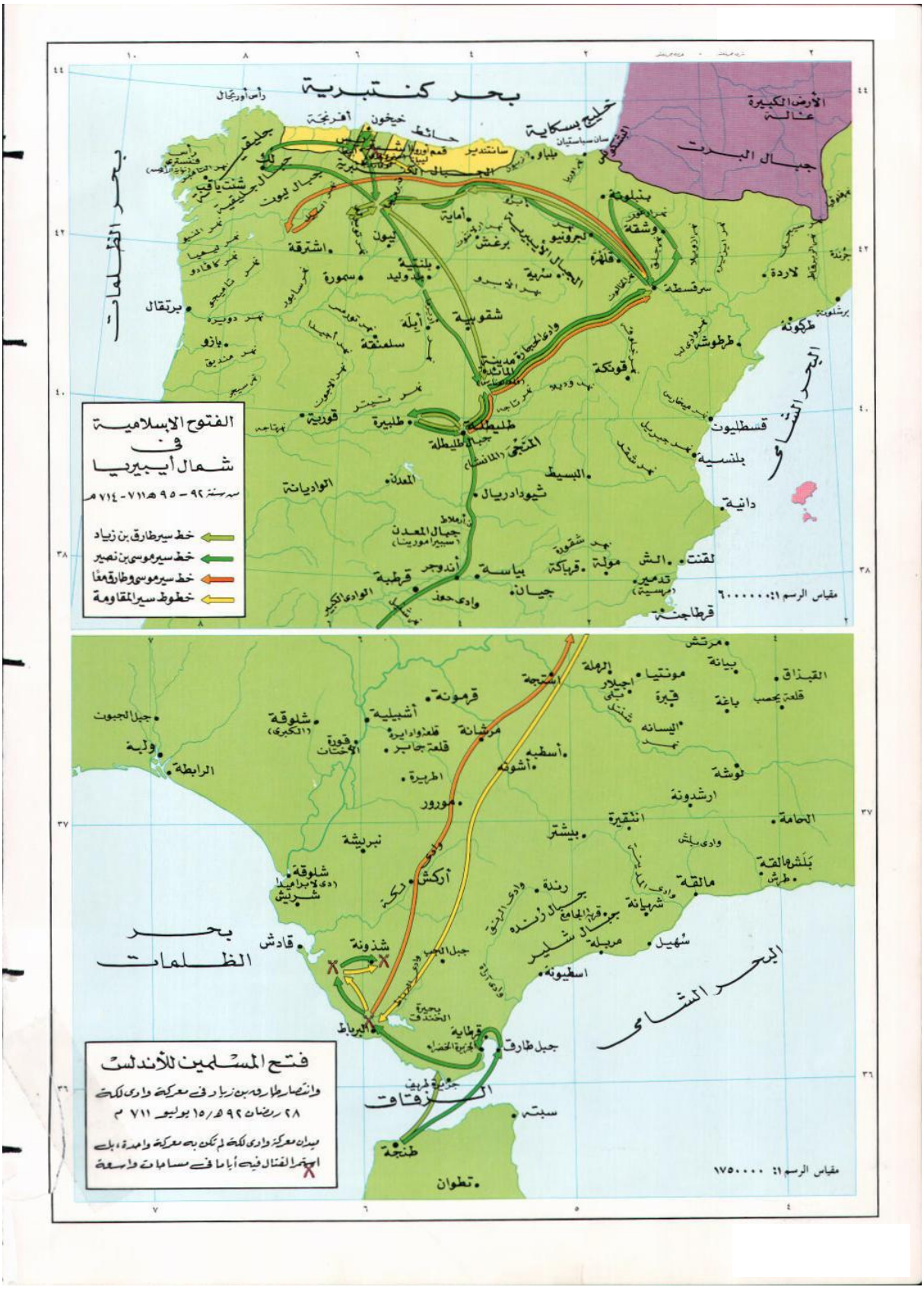

الملحق رقم 05

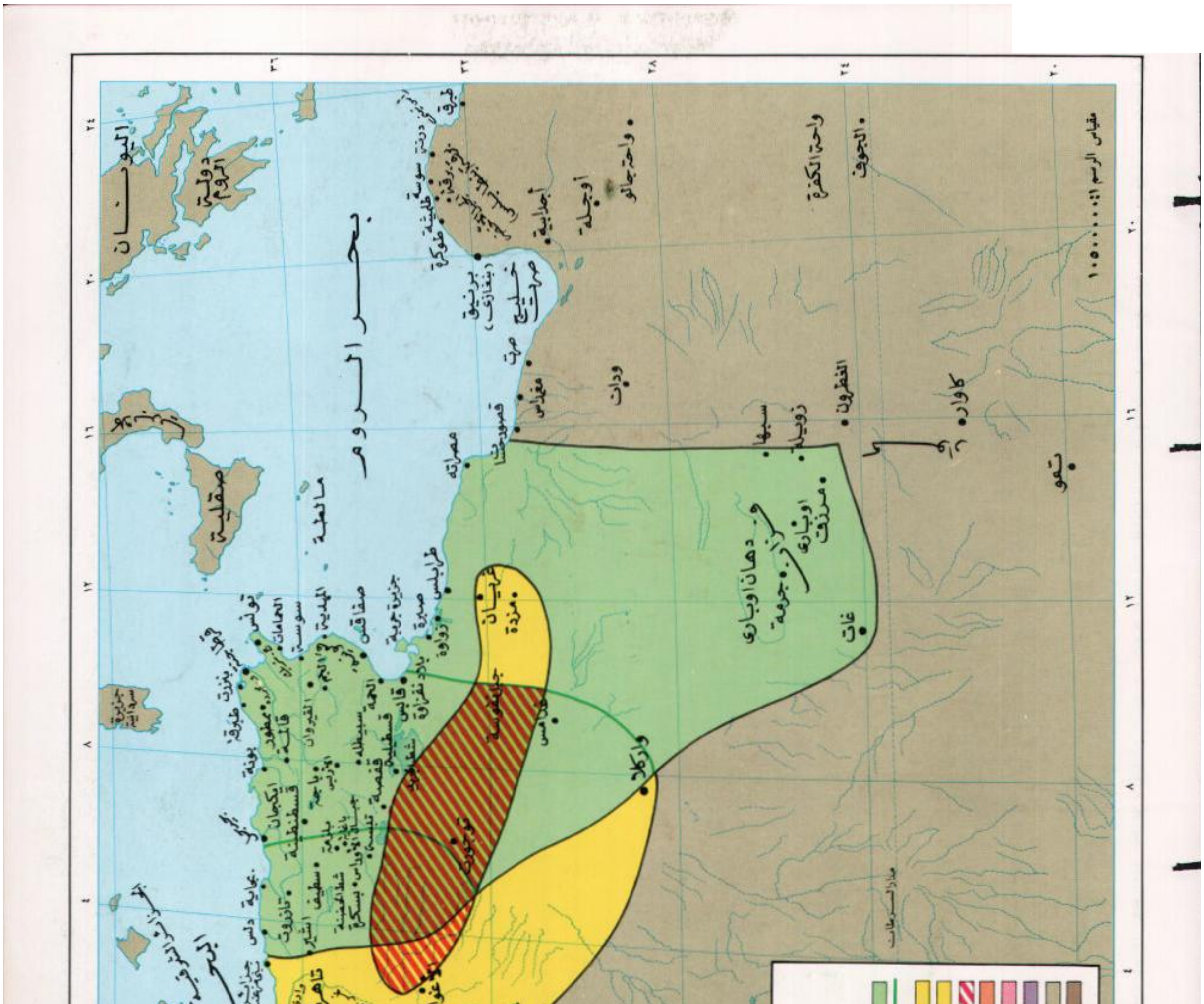

المصادر والمراجع:

1-المصادر:

-ابن أبي دينار، محمد ابن أبي القاسم الرعيني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، الطبعة الأولى، 1386هـ.

-ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، 1971م، ج5.

-ابن الأثير، علي بن أبي الكرم ، الكامل في التاريخ، تح عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ/1987م، ج2.

-ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب، ج1، تح: إبراهيم الزيبق، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1416هـ/1996م.

-ابن خلدون، عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العجم والعرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط: خليل شحادة، مراجهة: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1421هـ،2000م، ج4.

-ابن عبد الحكم، عبد الرحمن، فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1961م، ج1.

-ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س.كولان وإ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1983م، ج1.

-ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، 1410هـ/1989م.

-البكري، أبي عبيد، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

-البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م.

-الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق محمد زينهم عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 1414هـ/1994م.

-السلاوي، أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955م.

-الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق: أمير علي مهنا، علي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ/1993م، ج1.

-مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الثانية، 1410هـ/1989م.

-النوبختي، الحسن بن موسى، والقمي سعد بن عبد الله، فرق الشيعة تح عبد المنعم حنفي، دار الرشد للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م.

-النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ/2004م، ج24

2-المراجع:

-أبو زهرة، محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة.

-أرسلان، شكيب، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1352هـ.

-حسن، إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج1، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط14، 1416هـ/1996م.

-دبوز، محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى.

-دوزي، رينهارت، المسلمون في الأندلس، ترجمة حسن حبشي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1415هـ/1994م، ج1.

-ذو النون، طه عبد الواحد، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ب،ط، 1982م.

-زيتون، محمد، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى، 1408 هـ/1988م.

-سالم، سيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار المعارف، 1382هـ/1962م.

-شاكر، مصطفى، الأندلس في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1990م.

-العبادي، أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

-عبد الحميد، سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، دار المعارف، القاهرة.

-عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول من الفتح إلى بداية عهد الناصر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1417هـ/1997م.

-كولان، ج.س، الأندلس، ترجمة: إبراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، حسن عثمان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1980م.

-لقبال، موسى، المغرب الإسلامي،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية، 1981م.

-مؤنس، حسين، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، مصر.

-مؤنس، حسين، فجر الأندلس، دار المناهل، بيروت، الطبعة الأولى، 1422-2002م.

الفهرس

المحور الأول: الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الإسلامي.....2

I-التعريف ببلاد المغرب الإسلامي.....2

1-المغرب: 2

2-الأندلس: 6

II-مراحل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الإسلامي: 8

1-مرحلة الاستكشاف والاستطلاع: 8

2.مرحلة التنظيم والاستقرار: 14

3-فتح بلاد الأندلس: 23

المحور الثاني:عصر الولاة 26

1-عصر الولاة في المغرب: 26

2-في الأندلس: 30

المحور الثالث:الدعوات السياسية والحركات المذهبية 38

1-الخوارج نشأتهم وأصول حركتهم: 38

2-ظهور الصفرية والإباضية في بلاد المغرب: 40

2-1-الإباضية: 40

2-2-الصفرية: 44

أسباب نجاح دعوات الخوارج في بلاد المغرب.....48

نتائج حركة الخوارج في بلاد المغرب.....48

الملاحق.....48

المصادر والمراجع: 50